

أرسيث لوبيث

الجائزة الكبرى



مغامرات "أرسين لوبين"

● نو الشخصية الفذة في اقتحام عالم الجريمة وكشف مرتكبيها وتقديمهم للعدالة، وصاحب المغامرات المثيرة المعروف لملايين القراء في جميع أنحاء العالم، والذي ذاعت شهرته حتى تفوقت على كل الشخصيات البوليسية التي تصور الجريمة وتحللها وتكشف عن مرتكبيها.

هذا البطل (أرسين لوبين) يتميز بالنبل والشرف والشهامة فهو لا يهدف من مغامراته إلى الثراء وكسب المال أو للثأر والانتقام من خصومه، وإنما يكرس حياته للكشف عن الجريمة وتعقب الجناة وتقديمهم للعدالة.

إنه اللص الشريف الذي يمتلئ قلبه بالحب والخير للناس. وخاصة البائسين والفقراء حيث كان يخصصهم بعطفه وإحسانه ويتبرع بكل ما يحصل عليه من الأثرياء البخلاء والصوص الجشعين للجمعيات الخيرية ومؤسسات البر والإحسان.

وقد تحدى هذا البطل (أرسين لوبين) رجال الشرطة وكبار المفتشين الخصوصيين في عصره في أوروبا وأمريكا حتى أطلق عليه لقب الرجل ذي الألف وجه وهيئة حيث كان يجيد التنكر ويظهر في شخصيات متعددة.

ثمن النسخة

CanadA	5\$	ج ٣	مصر	٧٥٠ف	الكويت	٢٠٠٠ل	لبنان
U.K	1.5	د ١٠	المغرب	١٠د	الإمارات	٧٥ل	سوريا
France	15F.F	د ١	ليبيا	١د	البحرين	١د	الأردن
Greece	1200Drs.	د ١,٥	تونس	١٠ر	قطر	٥٠	العراق
CYPRUS	1.5 P.	ر ٧٥	اليمن	١د	مسقط	٦ر	السعودية

برنارد الأسطه

يقدم

الرواية المعربة

الجائزة الكبرى

(٢٢)

رواية بوليسية طريفة بطلها اللص الظريف "أرسين لوپين"

هواريس لبنان

الناشر

دار ميوزيك

للصحافة والطباعة والنشر والتوزيع ش ٠م٠م٠

ص.ب ٣٧٤ جونية - لبنان

جميع الحقوق محفوظة للناشر

يمنع منعاً باتاً نقل أي جزء أو قسم من هذا الكتاب
وبأية وسيلة إلا بعد الحصول علي موافقة خطية من الناشر .

١٠٠ مليون فرنك

قلت لصديقي "لوبيين" :

- حدثني عن نفسك يا "لوبيين" ..

فاجاب "لوبيين" وهو يسترخي في مقعد وثير في غرفة مكتبي:

- بماذا تريدني أن أحدثك ؟

- قد سمع الناس عنك الكثير .. لكنهم لا يعلمون إلا القليل . إنهم يقرأون في الصحف أنك سطوت على هذا المكان أو ذاك .. وانك امطت اللثام عن هذا اللغز .. وحسمت تلك القضية . ولكنهم لا يعلمون التفاصيل الدقيقة الواقعية لكل مغامرة . وذلك ما يهمهم معرفته أكثر من أي شيء آخر .

- إنها تفاصيل تافهة . لا تهم أحدا في كثير أو قليل .

- كيف ذلك ؟ إن الناس يتساءلون لماذا قدمت نصف مليون فرنك هدية لـ"روجة ديجوفال" .. فهل ذلك أمر تافه لا يثير الدهشة والفضول ؟ ثم هناك لغز الصور الثلاثة .

فكيف بالله اهتديت إلى حله ؟

فضحك "لوبيين" وأجاب :

- نعم لقد كان هذا اللغز طريفا حقا . وفي استطاعتي أن اقترح له عنوانا إذا كان في نيتك أن تنشره على الناس .. ما قولك في عنوان "علامة الظل" ؟

- عنوان مثير .. ثم هناك مغامراتك في المجتمع . ومع الجنس اللطيف .. فلماذا تهمل مذكراتك واعترافاتك يا عزيزي "لوبيين" ؟ اعتقد انه أن الآوان لنشرها وإذاعتها ..

* * *

دار هذا الحديث بيني وبين "لوبيين" حين كانت شهرته قد ذاعت فعلا .

ولكنه لم يكن بعد قد قام بأضخم مغامراته .. وخاض أعنف معاركه .
وحين كان نشاطه مقصورا على عمل كثير من الشر .. وقليل من الخير .
وصمت "لويين" . ولكنني ألححت عليه . ولشد ما دهشت حين قال لي :
- خذ ورقة وقلم ..

ففعلت وأنا أكاد أطيّر فرحا .. فقد توهمت أنه سيملي علي فوراً
ذكرياته عن بعض المغامرات التي لم تصل بعد إلى علم الجمهور ،
والتي يهمني - كمؤرخ لأعماله ونشاطه - أن أسجلها في كتاب يكثف
عن نواح يجهلها القراء من أمر هذا الرجل العجيب .
قال :

- هل أنت على استعداد ؟

- نعم .

- إذن فاكتب هذه الأرقام : ٢٠ - ١ - ١١ - ٥ - ١٤ - ١٥ .

- ما هذا ؟

- اكتب هذه الأرقام وسأوضح لك معناها .

وكان قد اعتدل في جلسته . وأرسل بصره إلى النافذة . وراح يحرك
لغافة تبغ بين أصابعه .

واستطرد :

- واكتب ٢١ - ١٤ - ١٤ - ٥ .

وتوقف لحظة ثم استطرد :

- واكتب ٣ - ٥ - ١٩ - ١٩ .

ثم بعد صمت قصير آخر قال :

- اكتب ٥ - ١٨ - ٢٥ .

وذهبت أسأل نفسي .. ترى ماذا دهاء ؟ هل أصابه مس من الجنون؟
ونظرت إليه بحدة . ولاحظت أن النظرة الشاردة التي كانت في عينيه
منذ لحظة قد تلاشت .. وأن حقيقته ضاقتا كما لو كان بسبيل تركيز
أفكاره وخواطره .. أو كما لو كان يرى شيئا يثير فضوله واهتمامه .

استطرد وهو يتمهل قليلا بين كل رقم والذي يليه :

- واكتب ١٨ - ٩ - ١٩ - ١١ - ١٩ .

وأرسلت بصري عبر النافذة متتبعاً نظراته . فلم أر في الناحية

الأخرى من الشارع غير بيت قديم مغلق النوافذ ..
وليس في هذه النوافذ ما يلفت النظر أو يثير الاهتمام .. فهي هي
كما رأيتهما مرارا خلال السنوات الأخيرة دون أن يطرأ عليها تغيير أو
تبديل.

استطرد :

- اكتب ١ - ٢ .

وفجأة فهمت .. أو خيل إلي أنني فهمت .. إذ كيف يمكن لرجل مثل
"لوبين" عرف دائما بالاتزان ورجاحة العقل أن يضيع وقته عبثا في
إملاء أرقام لا يبدو أن لها معنى على الإطلاق ؟
ذلك أنني لاحظت أنه إنما كان يعبر بهذه الأرقام عن إشارات ضوئية
من أشعة الشمس تنعكس على الطابق الثاني من البيت المقابل .

استطرد :

- ١٥ - ١٢ .

ثم اختفت الإشارات بضع دقائق .. وعادت للانعكاس على البيت
المقابل مرة أخرى بطريقة منتظمة . وعلى فترات متساوية . وأخيرا
اختفت نهائيا .

وكننت قد أحصيت هذه الإشارات ، فقلت قبل أن ينطق "لوبين"
بعدها :

- ٥ -

فابتسم وقال ساخرا :

- هل عرفت السر ؟ دعني أهنئك .

ومشى إلى النافذة .. واطل منها . وخيل إلي أنه يحاول معرفة
مصدر هذه الإشارات .. ثم عاد إلى مقعده الوثير وهو يقول :

- الآن . يجب أن تقوم أنت بإحصائها ..

ولعله أدرك أنني - بحكم الفضول الذي استولى علي - لن أخطئ
في إحصاء تلك الإشارات الضوئية الغامضة .

وكان من الواضح أن مصدر الإشارات لابد أن يكون أحد البيوت التي
تقع في صف بيتي .. كما لو أن أحداً يفتح باب دولا من زجاج
ويغلقه على التعاقب بطريقة منتظمة . أو أن شخصا يلهو بالتلويح

بمراة صغيرة تحت اشعة الشمس.
قلت بعد لحظة ، وقد ضايقتني مراقبة هذه الإشارات التي لا يبدو أن لها نهاية:

- لاشك أنها من عبث بعض الأطفال.
- لا بأس .. استمر في إحصائها وتسجيل الأرقام .
فاطعت . وظللت احصي الإشارات الضوئية واسجل عددها على الورقة ، كل ذلك والإشارات تتعاقب بطريقة منتظمة دقيقة .
وانقضت أخيرا بضع دقائق دون أن اسجل رقما ، فقال "كوبين" :
- ماذا حدث ؟

- لاشيء .. إنني لا أرى الإشارات .. وأكبر الظن أن الطفل قد كف عن عبثه.

وانتظرنا بعض الوقت . حتى تأكدنا من أن الإشارات لن تعود .
وحينئذ قلت مازحا :

- أظن أننا أضعنا وقتنا على غير طائل .. ولم نظفر إلا بطائفة من الأرقام لا معنى لها .

فقال "كوبين" دون أن يتحرك من مقعده :
- أرجو أن تضع أمام كل رقم من هذه الأرقام . الحرف الذي يقابله من الحروف الأبجدية . على اعتبار أن حرف (أ) يقابله رقم (١) وحرف (ب) يقابله (٢) وهلم .. هل فهمتني ؟
- ولكن هذا سخف .

- ربما . ولكن لا تنس أننا في حياتنا نفعل أشياء سخيفة كثيرة .
وبدأت في تحويل الأرقام إلى حروف وأنا شديد التبرم والامتناع .
ولشد ما انهشني حين فرغت من تحويل الأرقام الأولى أن وجدت أمامي كلمتين . هما :

"لاتقدم"

فهتفت :

- يا إلهي .. إنهما كلمتان واضحتان ..

- امض في عملك .

فمضيت في عملي .. وزادت دهشتي حين رايت أمامي عبارة واضحة

المعنى..

قال "لوبيين" بعد لحظة :

- ماذا وجدت ؟

- وجدت شيئا عجيبا . ولكنني لاحظت بعض اخطاء في الهجاء .

- لا بأس . اقرأ ببطء .

فقرأت العبارات التالية التي لم يتم معناها :

"لا تقدم على مخاطر لا ضرورة لها .. وتجنب الهجوم . واتصل بالعدو في حذر شديد . و ..."

قلت وأنا اضحك :

- هذا ما وصلنا إليه .. اعترف معي يا "لوبيين" بأن المسألة لاتعدو أن تكون مجرد عبث ودعابة . فهذه العبارات لا تعني شيئا على الإطلاق.

فنهض "لوبيين" واقفا .. وتناول الورقة وراح يتأملها دون أن ينطق بكلمة .

واذكر أنني نظرت إلى ساعتني في تلك اللحظة . فوجدتها الخامسة و ١٨ دقيقة .

وكان "لوبيين" واقفا ، والورقة في يده ، ووجهه إلى النافذة ..

فرايت على ملامحه ذلك الغموض الذي طالما ادهش كل من عرفه ، واتصل به ، وقد عرفت في تقاطيع وجهه علامة لم تخطئ أبدا . هي أنه كان يقطب حاجبيه قليلا كلما أراد تركيز افكاره .. وقد رايت هذا التقطيب في تلك اللحظة ، ووضع "لوبيين" الورقة على المكتب وغمغم :
- إنها لعب أطفال .

ودقت الساعة نصفاً بعد الخامسة فهتفت :

- ماذا تقول؟ هل نجحت في حل اللغز .. خلال ١٢ دقيقة ؟

فاخذ يمشي في الغرفة جيئة وذهابا ، ثم أشعل لفافه تبغ وقال :

- أرجو الاتصال تليفونيا بالبارون "ربستايين" . وقل له إنني ساقبله هذا المساء في الساعة العاشرة .

- البارون "ربستايين" زوج البارونة المشهورة بهذا الاسم ؟

- نعم ..

- هل أنت جاد فيما تقول ؟

- كل الجد .

فزادت دهشتي . ولكني لم استطع عصيانه ، وبحثت في دفتر التليفون عن رقم البارون .. وعندما هممت بإدارة قرص التليفون ؟ أوقفني "لوبين" بإشارة من يده . وقال وهو ينظر إلى الورقة وكان قد تناولها مرة أخرى :

- كلا .. لا تقل له شيئا . إذ لا فائدة من إخباره ..

ولكن يوجد شيء آخر أهم .. شيء يحيرني . يا إلهي .. لماذا تركت العبارة الأخيرة ناقصة لم تتم ؟ لماذا .. ثم تناول قبعته وهتف :

- هلم بنا .. وإذا لم أكن مخطئا فهذه مسألة يجب حلها فورا ، وأنا اعتقد أنني غير مخطئ .

وتأبط ساعدي ، وقال ونحن نهبط السلم :

- إنني أعرف عن البارون "ريستايين" ما يعرفه كل إنسان آخر ، فهو مدير شركات . ومن أكبر هواة السباق وجواده "أتنا" قد فاز بالجائزة الأولى في سباق (الدربي) هذا العام ..

وإعرف أيضا كما يعرف سائر الناس أنه ضحية زوجته ..

فالبارونة "ريستايين" المشهورة بجمال شعرها ، واناقة هذامها وشدة إسرافها ، قد هربت من زوجها منذ أسبوعين ، وأخذت معها ثلاثين مليوناً من الفرنكات سرقتها من زوجها ، كما أخذت معها مجموعة ثمينة من الحلي والجواهر المملوكة للأميرة "دي برني" .. والتي كانت لديها بحجة معاينتها وفحصها وتقدير ثمنها تمهيدا لشراؤها .

ومنذ أسبوعين . ورجال البوليس يبحثون عن البارونة في فرنسا ويتعقبونها في شتى أنحاء أوروبا . وهي مهمة سهلة يسيرة .. لأن البارونة تبعثر الذهب والجواهر في كل مكان تمر به .

ومنذ يومين .. وفق أحد رجال البوليس السري الفرنسي المشهورين .. وأعني به المفتش "بيشو" . إلى إلقاء القبض في أحد فنادق بلجيكا الكبرى على سيدة تنطبق أوصاف البارونة الهاربة عليها .. ثم اتضح

بعد ذلك ان هذه السيدة هي ممثلة مشهورة تدعى "نيللي داربال" .. اما البارونة "ريستايين" فإنها اختفت تماما .

واما زوجها البارون .. فإنه أعلن عن خمسمائة ألف فرنك جائزة لمن يجد زوجته الهاربة .. وهذه الجائزة هي الآن وديعة بين يدي محاميه .
وفضلا عن ذلك فإنه باع خيوله الأصلية الثمينة . كما باع قصره الفخم في شارع (هوسمان) وبيته الريفي في "روكنكود" لكي يعوض الأميرة "دي برني" عن خسارة جواهرها .
فقلت:

- لقد قرأت في الصحف أن ثمن هذه الأشياء جميعا سيدفع للأميرة فوراً غدا .. ولكني أقول لك بصراحة إنني لا أجد أدنى صلة بين هذه القصة والعبارة الغامضة التي ..

ولكن "لوين" هز كتفيه ولم يتكلم .
وكنا وقتئذ نسير في الشارع الذي يقع فيه بيتي . فمررنا بأربعة أو خمسة بيوت ..

قلت وأنا أشير إلى هذه البيوت :
- يخليل إلي أن الإشارات الضوئية صدرت من هذا البيت وربما من هذه النافذة المفتوحة .

- تعني النافذة التي بالطابق الثالث ؟
- نعم .

فقصد إلى بواب البيت الذي أشرت إليه . وسأله :

- هل بين سكان هذا المنزل من يعرف البارون "ريستايين" ؟

فاجاب البواب :

- بالتأكيد .. فهنا يقطن مسيو "لافرنو" . وهو رجل ظريف يعمل وكيلا للبارون وسكرتيرا له . وأنا أقوم بتنظيف شقته .

- هل نستطيع مقابلته ؟

- مقابلته ؟ لا أظن .. فالمسكين مريض جدا .

- مريض ؟

- نعم . إنه مريض منذ اسبوعين . أعني منذ حادث البارونة المؤسف . وقد عاد إلى بيته في اليوم التالي محموما ، ولزم فراشه منذ

ذلك الوقت .

- ولكنه يغادر فراشه في بعض الأحيان ؟

- لأعلم لي بذلك .

- ماذا تعني ؟؟

- إن طبيبه منع جميع الناس من الاتصال به وقد أخذ مني المفتاح الذي كنت أستعمله في فتح باب الشقة لتنظيفها .

- من الذي فعل ذلك ؟

- الطبيب . إنه يعود . ويجيب مطالبه مرتين أو ثلاثا كل يوم .. وقد غادر الشقة منذ عشرين دقيقة فقط ...

وهو رجل متقدم في السن يضع على عينيه نظارة .. ويمشي مقوس الظهر ولكن . إلى أين أنت ذاهب يا سيدي ؟

فأجاب "لوبين" وهو يضع قدمه على درج السلم :

- إنني سأصعد إلى الشقة .. فأرشدني إلى الطريق .. إن شقته في الطابق الثالث إلى اليسار . اليس كذلك ؟؟

فقال البواب وهو يعدو في أثره :

- لا أستطيع يا سيدي .. ثم إن المفتاح ليس معي ..

والطبيب ..

وصعدنا السلم . إلى أن بلغنا باب الشقة . وهناك أخرج "لوبين" من جيبه أداة وضعها في ثقب القفل رغم احتجاج البواب .

وفتح الباب على الأثر وبخلنا .

* * *

ووقعت أبصارنا في نهاية الشقة على غرفة صغيرة مظلمة .. وراينا شعاعا من الضوء ينبعث من باب ترك مفتوحا .

فأسرع "لوبين" إلى تلك الغرفة . ولم يكد يصل إلى عتبتها حتى وقف جامدا وغمغم :

- لقد جئنا بعد فوات الوقت .

وترنح البواب وكاد يسقط على الأرض من فرط الفزع .
أما أنا .. فقد دخلت الغرفة بدوري . ورأيت رجلا ملقى على الأرض
وساقاه مطويتان تحته . ووجهه النحيل في لون الرماد . وعيناه
تحتلقان أمامه في زعر وهلع .

وهتف "لوبين" بعد أن فحصه فحفا سريعا .

- إنه ميت .

فصحت :

- ولكن كيف ؟ إنني لا أرى أثرا للدماء ..

- هو ذا الأثر ..

وأشار إلى بقعة حمراء صغيرة على قميص القتيل.

واستطرد :

- لقد أفسك أحدهم بعنقه بإحدى يديه .. وطعنه في قلبه باليد
الأخرى . باداة دقيقة .. لعلها إبرة طويلة .. لأن الثقب الذي أحدثته
دقيق للغاية .

وأجال البصر حول الجثة . ولم يجد شيئا فيما عدا مرآة صغيرة .
لعل "لافرنو" كان يلهو بتحريكها تحت أشعة الشمس .

وهم البواب بالاستغاثة وطلب النجدة . ولكن "لوبين" ألقي بنفسه
عليه . وصاح وهو يهزه بعنف :

- صه .. واصغ إلي .. في استطاعتك أن تطلب النجدة فيما بعد .

أما الآن فاجبني .. إن لمسيو "لافرنو" صديقا في هذا الشارع ، ليس
كذلك ؟؟ وهذا الصديق يقيم في بيت في الجانب الآخر من الشارع .. هل
كانت الصداقة بينهما قوية ؟

- نعم .

وكان الصديقان يتقابلان في المقهى مساء .. ويتبادلان الصحف
والمجلات المصورة ؟

- نعم

- هل هذا الصديق إنجليزي ؟

نعم .

- ما اسمه ؟

- اسمه مستر "هارجروف" .
- أين يقيم ؟
- في رقم ٩٢ بهذا الشارع .
- سؤال أخير .. هل كان ذلك الطبيب الشيخ يعنى بامرء منذ وقت طويل ؟
- كلا . إننى لا أعرفه . وقد جاء في مساء اليوم الذي أصيب فيه مسيو "لافرنو" بالمرض .

* * *

- ولم يزد "لوبين" على ذلك . وهبط السلم وثبا فتبعته . وما إن أصبحنا في الشارع حتى تحول يمينا . ومررنا ببيتي ..
- ووقفنا أمام المنزل رقم ٩٢ .
- كان منزلا صغيرا منخفض الطوابق . يشغل أحد التجار طابقه الأرضي وقد وجده "لوبين" واقفا بباب حانوته وهو يدخن فسأله :
- هل مستر "هارجروف" موجود ؟
- فأجابه الرجل .
- إنه خرج منذ نصف الساعة . وكانت تبو عليه دلائل الاهتمام والانفعال . وقد استقل إحدى سيارات الأجرة وهو ما لم يتعوده قبلا .
- وهل تعلم ..
- فقاطعه الرجل وقد أدرك غرضه :
- إلى أين ذهب ؟؟ ليس هذا سرا . فقد سمعته يصيح بسائق السيارة بصوت مرتفع قائلا :
- اذهب بي إلى إدارة البوليس .
- وفي الحال . استوقف "لوبين" إحدى سيارات الأجرة . ولكنه عاد فعدل عن غرضه . وهز كتفيه وغمغم :
- ولكن ما الفائدة . لقد سبقنا بوقت طويل ..
- ثم سأل صاحب المتجر . عما إذا كان أحد قد استفسر عن مستر "هارجروف" بعد انصرافه . فأجاب الرجل :

- نعم .. استفسر عنه رجل متقدم في السن يحمل في يده حقيبة صغيرة ويضع على عينيه نظارة . وقد قصد إلى شقة مستر "هارجروف" ودق الجرس ثم عاد على الفور .
- شكرا لك ..

وانصرف "لوبين" وهو يمشي ببطء . ولم يقل لي كلمة واحدة .
وإنما كانت تبدو عليه دلائل التفكير العميق .
لم يكن ثمة شك في أن اللغز بدا له معقدا . محفوقا بالغموض الشديد قال لي:

- هذه إحدى القضايا التي تحتاج إلى إلهام أكثر مما تحتاج إلى تفكير . وهي تستحق عناء الاهتمام بها . وإمالة اللثام عن معمياتها .

* * *

ودخل "لوبين" إحدى المكتبات العامة . وقضى وقتا طويلا في مراجعة الصحف التي صدرت خلال الأسبوعين الأخيرين ..
وكان يغمغم بين الفينة والفينة :

- نعم . نعم . بالتأكيد . إنه مجرد ضيف . ولكن ذلك يوضح كل شيء . إن الإجابة التي توضح كثيرا من الأسئلة . تكون عادة أقرب الأشياء إلى الحقيقة .

وكان الليل قد أرخى سدوله . فتناولنا طعام العشاء في أحد المطاعم الصغيرة ولاحظت أن تقاطيع وجه "لوبين" قد انبسطت بالتدريج . وارتسمت في عينيه نظرة عزم وحزم واسترد كثيرا من مرحه .
وحيويته ..

ولما غادرنا المطعم .. وسرنا في شارع هوسمان حيث يوجد بيت البارون "ريستائين" . كان "لوبين" قد عاد إلى سابق عهده به . فصار رجل المغامرات الذي لا يشق له غبار .. الرجل الذي حزم أمره على الانتصار .

وكان بيت البارون يقع على الناصية بين شارعي هوسمان وسان أونوريه وهو بيت يتألف من ثلاثة طوابق . وتحيط به الأشجار .

قال "لوبين" فجأة :

- قف .

- ماذا حدث ؟

- يوجد ثمة دليل آخر يؤيد وجهة نظري .

- أين هذا الدليل ؟ إنني لا أرى شيئاً .

- إنني أراه .. وهذا يكفي .

ورفع ياقة معطفه . وأرخى حافة قبعته على وجهه .

واستطرد :

- ستكون معركة شديدة . فإذهب إلى فراشك يا صديقي . وساقص

عليك كل شيء غدا . ذلك إذا لم أفقد حياتي في المعركة .

- ما هذا الذي تقوله ؟

- إنني أعرف ما أنا قائل .. وأشعر بخطورة ما أنا مقدم عليه ..

وأول الأخطار التي تتهددني هو أن يقبض علي ولكن ذلك لا يهمني

كثيراً . والخطر الثاني أن أقتل . وهذا أسوأ ما في الأمر ولكن ..

ثم ضغط بيده على ساعدي واستطرد :

- ولكن هناك شيء ثالث أغامر من أجله .. هو مبلغ ٥٠٠ ألف فرنك

قيمة الجائزة .. ومتى وضعت يدي على هذا المبلغ فسيرى الناس ماذا

أستطيع عمله .

طاب مساؤك يا صديقي . وإذا لم ترني مرة أخرى ..

وهز كتفيه .. ولم يتم عبارته .

وانصرفت إلى بيتي . وبعد ثلاث دقائق من انصرافه -

وأنا أسرد القصة الآن كما حدثني بها "لوبين" فيما بعد - دق

"لوبين" جرس باب البارون "ربستين" . وسال :

- هل البارون موجود ؟

فاجاب كبير الخدم وهو ينظر إليه في دهشة :

- نعم . ولكن سيدي البارون لايقابل الزائرين في مثل هذه الساعة

المتأخرة من الليل .

هل يعلم البارون بنبا مقتل مسيو "لافرنو" وكيله و سكرتيه ؟

- بالتأكيد .

- إذن أرجو أن تنبئ البارون بأنني أريد مقابلته في صدد هذه الجريمة . وأن الوقت لايسمح بإضاعة دقيقة واحدة .
وهنا انبعث صوت من أحد الطوابق العليا . وكان صاحبه يقول :
- دع هذا السيد يدخل يا "انطوان" .
ففتح كبير الخدم الباب . ورافق "لوبيين" إلى الطابق الأول .
وهناك رأى "لوبيين" رجلا واقفا بباب إحدى الغرف . وادرك من الصور التي رآها في الصحف أن هذا الرجل هو البارون "ريستائين" .
زوج البارونة المشهورة وصاحب الجواد (أتنا) أشهر جياد ذلك العام .
وكان البارون طويل القامة جدا .. عريض الكتفين ..
ووجهه الباسم لاينم عن الحزن العميق المرتسم في عينيه .
وكان يرتدي بذلة أنيقة . ويزين رباط عنقه بدبوس ثمين .
ورافق "البارون" زائرته إلى غرفة المكتب . وهي غرفة فسيحة محاطة بخزائن الكتب وفي أحد أركانها مكتب أنيق ، وخزانة كبيرة .
وجلس البارون وقال على الفور . دون أن يحاول إخفاء فضوله وقلقه:

- هل تعلم شيئا ؟
- نعم يا سيدي البارون .
- عن مقتل "لافرنو" المسكين ؟
- نعم يا سيدي . وعن البارونة أيضا .
- احقا تقول ؟؟ إذن أقض إلي بما عندك وأسرع أرجوك .
- وقدم مقعدا للزائر . فجلس "لوبيين" وقال :
- إن الظروف والملابسات في غاية الخطورة يا سيدي البارون .
- وسأذكر لك الحقائق باختصار .
- نعم . أرجوك .
- إن الموقف بإيجاز . هو كما يلي : منذ ست أو سبع ساعات .
- أرسل مسيو "لافرنو" .. الذي أرغمه طبيبه بطريقة ما على ملازمة بيته
- ما يشبه أن يكون رسالة برقية تتضمن معلومات خطيرة . وقد أرسل
- هذه الرسالة بواسطة إشارات لفقت نظري إلى هذه القضية .
- وحملنني على الاهتمام بها ..

وقتل وهو يبحث بالرسالة .

- ولكن من ذا الذي قتله ؟

- طبيبه .

- ومن هو هذا الطبيب ؟

- لا اعلم ، ولكنني واثق ان صديقا لـ "لافرنو" . وهو رجل إنجليزي يدعى "هارجروف" كان في الواقع المقصود بالرسالة .. انا واثق ان هذا الصديق يعرف الطبيب كما يعرف معنى الرسالة . لانه لم ينتظر نهايتها . ووثب إلى إحدى سيارات الاجرة .. وأسرع إلى إدارة البوليس .

- ولكن لماذا ؟ .. لماذا ؟ وماذا كانت نتيجة هذه الخطوة ؟

- النتيجة يا سيدي البارون . هي ان بيتك قد حوصر ..

ويوجد الآن اثنا عشر من جنود البوليس السري يرقبون نوافذ البيت وابوابه ، ومتى طلع النهار . دخلوا البيت باسم القانون ، والقوا القبض على المجرم .

- هل تعني ان قاتل "لافرنو" مختبئ في بيتي ؟ ومن هو ؟

هل هو أحد الخدم ؟ ولكن لا . لايمكن ان يكون ذلك ..

فانت نفسك كنت تتحدث منذ لحظة عن أحد الاطباء على اعتبار انه القاتل .

- اسمح لي ان ابدي ملاحظة يا سيدي البارون . وهي ان مستر "هارجروف" عندما ذهب إلى إدارة البوليس لينبئهم بمضمون رسالة صديقه "لافرنو" . لم يكن يعلم انه سيقتل .

إن الخطوة التي اتخذها مستر "هارجروف" تتصل بمسألة أخرى ..

- بأي موضوع ؟

- بموضوع اختفاء البارونة ، وهو يعرف سره بفضل رسالة

"لافرنو" .

- ماذا ؟ هل عرف سر اختفائها أخيرا ؟ أين هي ؟؟ وأين الجواهر ؟

وأين النقود التي سرقتها مني ؟

وكان البارون يتكلم بانفعال شديد ، وازداد انفعاله ، فنهض من مكانه . وقال يحدث "لوبين" بصوت مرتفع اشبه بالصياح :

- اتمم قصتك يا سيدي إنني لا استطيع الانتظار أكثر من ذلك .

فقال "لوبيين" في هدوء وبلهجة المتردد :

- الحقيقة هي أن الواقع ... أن الإيضاح متعذر لأن كلامنا ينظر إلى الموضوع من ناحية مختلفة .

- لا أستطيع أن أفهمك .

- بل كان ينبغي أن تفهمني يا سيدي البارون . لقد ذكرت الصحف أن البارونة كانت تعرف أسرار عملك . وأنها لم تفتح خزانك الكبيرة هذه فقط ، وإنما فتحت كذلك خزانك التي في بنك الكريدي ليونيه ، والتي تحتفظ فيها بما تملك من أسهم وسندات مالية . ألم تذكر الصحف ذلك ؟

- بلى ذكرته .

- لقد حدث ذات ليلة منذ أسبوعين . بينما كنت أنت في النادي أن باعت البارونة الأسهم والسندات دون علمك ، ثم غادرت هذا البيت ، وبيدها حقيبة تحتوي على نقودك وثمان السندات وجواهر الأميرة "دي برني" .

ذلك أيضا ما ذكرته الصحف . اليس كذلك ؟

- بلى .

- ومنذ ذلك الوقت لم يرها أحد ؟

- نعم .

- هناك سبب وجيه يبرر اختفاءها .

- ما هو ؟

- هو أنها قتلت .

- البارونة قتلت ؟ لأبد أنك مجنون .

- نعم . إنها قتلت . ويحتمل أن تكون قتلت في ذات المساء الذي قيل

إنها هربت فيه .

- دعني أقل لك مرة أخرى إنك مجنون كيف يمكن أن تكون البارونة

قد قتلت بينما رجال البوليس يتعقبونها خطوة فخطوة على حد قولهم .

- إنهم يتعقبون امرأة أخرى .

- أية امرأة ؟

- شريكة القاتل .

- ومن هو القاتل ؟

- هو نفس الرجل الذي علم منذ اسبوعين أن "لافرنو" بحكم مركزه في هذا البيت قد اكتشف الحقيقة . فحبسه في بيته ، وارغمه على الصمت . وهدده وتوعده ، وادخل الذعر على نفسه ، القاتل . هو نفس الرجل الذى ضبط "لافرنو" وهو يرسل صديقه الإنجليزي بالإشارات الضوئية ، قطعنه في قلبه طعنة قضت على حياته .

- هل تعني الطبيب ؟

- نعم

- ولكن من هو هذا الطبيب ؟ من هو هذا العبقري الشرير ، هذا المخلوق الجهنمي الذي يظهر ويختفي كما يريد .. ويرتكب جرائم القتل في الظلام . دون أن يهتدي إليه أو يرتاب فيه أحد ؟

- ألا تعرفه ؟

- كلا

- وهل يهملك أن تعرفه ؟

- يهمني أن اعرفه ؟؟ بالتأكيد... بالتأكيد . تكلم يا رجل هل تعرف

مكانه ؟

- نعم .

- هل هو مختبئ في هذا البيت ؟

- نعم .

- وهل هو الذي يبحث عنه البوليس .

- نعم .

- من هو .

- أنت .

- أنا ؟

* * *

وهكذا بدأت المبارزة بين الرجلين ، ولم ينقض على اجتماعهما أكثر من عشر دقائق .

كانت التهمة التي قذف بها "لوبيين" في وجه البارون صريحة. حاسمة قاسية.

استطرد :

- إنك تنكرت بلحية مستعارة . و نظارة . واحنيت ظهرك لكي تبدو شبحا متقدما في السن . صفوة القول..

إنك ذلك الطبيب الذي قتل "لافرنو" . أنت ولا أحد سواك ..

لسبب واحد بسيط ووجيه . هو انه إذا لم تكن أنت الذي دبرت الخطة وأنفذتها فإن اللغز لا يكون له تفسير أو حل . ومتى افترضنا أنك القاتل . وضحت لنا اسباب الجريمة وحوافزها . فانت قتلت البارونة لتخلص منها وتفر بالنقود والجواهر مع امرأة أخرى . وقتلت "لافرنو" لتحول بينه وبين الوشاية بك . ذلك يفسر كل شيء ليس كذلك ؟؟ وانت نفسك مقتنع بهذا التفسير .

وكان البارون طول الوقت واقفا أمام مكتبه ينصت إلى حديث "لوبيين" . وينتظر بفروغ صبر كل كلمة ينطق بها .

فلما فرغ "لوبيين" من حديثه . رفع البارون رأسه . ونظر إليه كما لو كان ينظر إلى مجنون حقا . ثم أخذ يمشي في الغرفة جيئة وذهابا . ويبدو عليه كأنه يريد أن يقول شيئا .. والظاهر أنه عدل أخيرا عن الكلام .. لأنه لم يلبث أن قصد إلى الموقد . وقرع جرسا .

ولم يات "لوبيين" بحركة . وانتظر وهو يبتسم .

ودخل كبير الخدم فقال له البارون :

- في استطاعتك أن تذهب إلى فراشك يا "انطوان" ..

سأتولى أنا إرشاد هذا السيد إلى الطريق عندما ينصرف .

- هل أطفى الأنوار يا سيدي؟

- دع النور في الصالة .

وانصرف كبير الخدم .. وأخرج البارون من درج مكتبه مسدسا وضعه في جيبه . وسار إلى حيث كان "لوبيين" وقال في هدوء :

- معذرة عن هذه الحيلة يا سيدي .. فإنما لجأت إليها خوفا من أن تكون مجنوننا ولكني لا أظنك كذلك .. كلا إنك لست مجنوننا .. ولكني واثق أنك جئت هنا لغرض معين لا أستطيع إدراكه ثم إنك قذفتني

بتهمة خطيرة يهمني أن أعرف ماذا حملك على توجيهها إلي .
لقد مر بي من النكبات والمحن وعانيت الألم والشقاء ما يجعلني
أقابل هذا الاتهام بكثير من الصبر والجلد وعدم المبالاة .. تكلم يا
سيدي .

وكان يتكلم بتأثر واضح . وقد اغرورقت عيناه الحزینتان بالدموع
وارتجف

"لوبین" . وسال ترى هل وقع في خطأ ؟؟
وهل الاستدلال الذي أقام صرحه على الكثير من الاستنتاج والقليل
من الحقائق لم يكن في موضعه ؟
ووقع بصره على شيء أثار اهتمامه .
فقد رأى الدبوس الثمين الذي يزين رباط عنق البارون . ولاحظ طول
غير العادي .

إن هذا الدبوس الذي يشبه الخنجر هو سلاح خطير في يد من
يحسن استخدامه .
ولم يكن لدى "لوبین" شك في أن الدبوس هو السلاح الذي ثقب به
قلب "لأفرنو" التعس .
غمغم قائلاً :

- إنك شديد البراعة يا سيدي البارون ..
فلزم البارون الصمت ... كما لو أنه لم يفهم أو كما لو كان ينتظر
مزيداً من الإيضاح . ومع ذلك فإن شرود ذهنه ، وأثار الحزن
الواضحة على وجهه ، كل هذا أزعج "لوبین" وحيره . ولكنه كان واثقاً
من صدق ظنونه واستنتاجه ... وهو فضلاً عن ذلك قد حدد موقفه من
البارون وخطا خطوات لا يستطيع العدول عنها والرجوع فيها . قال :
- نعم . إنك بارع جداً . لأن ما فعلته البارونة .. إنما فعلته نزولاً على
إرادتك وإطاعة لأوامرك ، فانت الذي أوحيت إليها أن تبیع الأسهم
والسندات كما أوحيت إليها بالرغبة في شراء جواهر البارونة "دي
برني" .

ومن الواضح كذلك أن المرأة التي غادرت بيتك منذ أسبوعين وبيدها
حقيبة تحتوي على النقود والجواهر ليست زوجتك ولكنها شريكك .

ولعلها تكون تلك الممثلة التي تعمدت أن تلتف إليها أنظار البوليس وتحملهم على تعقبها إلى بلجيكا .

إنها خدعة متناهية في البراعة يا سيدي البارون . وبعد فماذا كان يضير شريكك في القيام بهذا الدور ؟ إنها تعلم أن البوليس يبحث عن البارونة . لا عنها هي . وكيف يمكن أن يبحث رجال البوليس عن امرأة غير البارونة . بعد أن وجدوك تعلن عن جائزة قدرها ٥٠٠ ألف من الفرنكات لمن يقبض على البارونة أو يرشد إلى مكانها ؟

ثم أن إيداع قيمة الجائزة عند أحد المحامين ، لهو في ذاته عمل يدل على العبقرية .. وقد بهر رجال البوليس وذر الرماد في عيون أبعد الناس نظرا .

إن رجلا يودع ٥٠٠ ألف فرنك لدى محاميه .. هو رجل صادق أمين . وهكذا انطلق رجال البوليس في أعقاب البارونة .. وتركوك هنا في امان وسلام لكي تدبر شؤونك وتعد عدتك وتبيع خيولك وقصورك وتتاهب للفرار .

فيالها من خدعة !

وأصغى البارون في صبر واثابة دون أن ينطق بكلمة أو يحرك ساكنا . ثم مشى إلى حيث كان يجلس "لوبيين" .. ووقف أمامه وقال وهو لا يزال محتفظا بهدوئه وبروده :
- من أنت ؟

فضحك "لوبيين" وأجاب :

- ماذا يهمك من اسمي ؟ . هب أنني رسول القدر ..

وقد خرجت من الظلام لأسوقك إلى الهلاك والدمار ووثب من مقعده فجأة .. وأمسك ساعد البارون بقوة واستطرد :

- نعم .. إنني خرجت من الظلام لأسوقك إلى الهلاك والدمار أصغ إلى إن ملايين الفرنكات التي تملكها زوجتك .. وجميع جواهر الأميرة "دي بيرني" .. وثمان السندات المالية ، والخيول والقصور كلها هنا في جيبك أو في هذه الخزانة وأنت قد أعددت عدتك وتاهبت للفرار .. فحزمت أمتعتك ، ورتبت أوراقك . وكان في نيتك في هذه الليلة بالذات أن تتنكر في مظهر جديد . وتلحق بصديقتك الممثلة "نيللي داربال" . تلك

التي قبض عليها 'بيشو' خطأ في بلجيكا والتي من أجلها قتلت زوجتك
وسكرتيرك .

ولكن المفاجأة حدثت في اللحظة الأخيرة .. وانت من تحقيق أمالك
واحلامك قاب قوسين أو أدنى .. فجاءت فرقة كاملة من رجال البوليس
السري . وحاصرت بيتك . والفصل في ذلك للرسالة الضوئية التي
بعث بها 'لافرنو' إلى صديقه وكشف فيها عن السر .

فالمسالة بالنسبة إليك يا عزيزي البارون تعتبر منتهية ..
وهذه الساعات الباقية من الليل . هي آخر فترة في حياتك فتمتع
فيها بشيء من الحرية بين جدران بيتك .. وسيعقبها الاعتقال فالسجن
فالمشقة .

بيد اني استطيع إنقاذك . وكلمة واحدة بالتليفون أجلب عشرين أو
ثلاثين من أتباعي واعواني . وهؤلاء يتكفلون بإزالة رجال البوليس من
طريقنا . فنتسلل . أنا وانت .. من هذا البيت دون أن يشعر بنا أحد ..
أما شروطي فبسيطة . إنها لاقيمة لها بالنسبة إليك كل ما أطلبه هو
أن تنقاسم الملايين والجواهر التي في حقيبتك أو في خزانتك .. هل
اتفقنا ؟؟

وكان يتكلم في حزم . وعيناه تنظران إلى البارون بصرامة . وكلماته
تنقض على البارون كالصواعق .
وغمغم البارون أخيرا :

- لقد بدأت أفهم . هذا نوع من الابتزاز ..

- سمه ما شئت يا بني ، ولكنك مرغم على القبول والطاعة . فلا
تتصور أنني سأتحول عن موقعي ومطالبتي قيد أنملة . ولا تقل لنفسك
"هذا رجل يخشى البوليس ولا بد أن ينتهي به الأمر إلى إعادة التفكير
في الأمر . فإنني إذا رفضت . واعتقلت . فإنه سوف يعتقل أيضا .
وسيكون مصيره السجن .. كلانا مجرم يبحث عنه البوليس . وكلانا
أشبه بالحيوان في المصيدة" .

كلا . لا تقل لنفسك شيئا كهذا يا سيدي البارون ولا تفكر على هذا
النحو فإنني أستطيع دائما الخروج من المازق . فكر في نفسك فقط .
واختر بين الحياة والمال ..

إننا سنتقاسم الغنيمة . وإلا فهناك المشنقة في انتظارك ..
هل اتفقنا ؟

وبحركة سريعة . اجتذب البارون ساعده من قبضة "لوبين" . واطلق
المسدس .

ولكن "لوبين" كان متاهبا لهذه الحركة . وقد رأى بوادرها في مظاهر
الياس التي بدت على وجه البارون . فقد خلع القنوط والخوف على
وجهه أية من آيات الوحشية التي كثيرا ما تسبق التمرد والثورة
المكظومة .

واطلق البارون الرصاص مرتين .. فوثب "لوبين" إلى اليسار .. ثم
غاص إلى أسفل . وامسك بساقي البارون .. وطرحه أرضا . وحينئذ
أطبق كل من الرجلين على غريمه . وقام بينهما نضال رهيب . أبدى
فيه البارون من القسوة والوحشية ما يتعارض مع مظاهر هدوئه
واستسلامه .

وفجأة . أحس "لوبين" بالعمق في صدره فصاح :

- ويل لك أيها الوجد . هذه هي الطريقة التي قتلت بها "لافرنو"
بواسطة الدبوس .

واستجد بكل قوته . وبصلابة عضلاته . وتخلص من قبضة
البارون وأطبق بأصابعه الفولاذية على عنقه وصاح بلهجة المنتصر .
- قبحك الله .. لو لم تكشف عن ورقك لاقتنعت بخطئي .. وانخدعت
بمظاهر يؤسك وسذاجتك .. ونظرات البراعة التي عرفت كيف تخدع بها
جميع الناس .

هلم بنا يا صديقي . اعطني هذا الدبوس وابتسم ..

لماذا كل هذا العبوس والتجهم ؟؟ هل شددت على عنقك أكثر مما
يجب ؟؟ هل توشك أن تختنق ؟؟ أبسط يديك لكي أشد وثاقتك . هذا
حسن .. ها نحن متفقان كخير الأصدقاء ، الحق أن هذا مؤثر . وأنا في
قراره نفسي أشعر بالعطف عليك . والآن الف معذرة .

قال ذلك واهوى على فك البارون بكلمة قوية أفقدته الوعي . ونهض
"لوبين" عن صدر غريمه وهو يقول :

- هذا أفضل أيها الصديق . لقد عرضت عليك نصف الغنيمة .

ولكنني لن اعطيك الآن شيئاً . إنما يجب أولاً ان اعرف مكان النقود
والجواهر ، ذلك أهم شيء في الوقت الحاضر .

ترى أين أخفى الشقى كنوزه ؟؟ في الخزانة ؟؟ إن فتحها مهمة
عسيرة ولكن من حسن الحظ أن أمامي الليل كله .

قال ذلك وراح يفتش جيوب البارون حتى عثر على حزمة من المفاتيح
فأسرع بها إلى الخزانة .

ولكنه توقف فجأة . فقد شعر بحركة في مكان ما ..

ترى هل هم الخدم ؟

كلا.. إن الخدم يقيمون في الطابق العلوي . والجلبة التي سمعها
تنبعث من أسفل البيت .

وأدرك الحقيقة فجأة ..

لابد أن يكون رجال البوليس السري الذين يحاصرون البيت قد
سمعوا صوت الطلقين الناريين فأقبلوا على الباب يطرقونه . كما
يقضي عليهم واجبههم بذلك . دون أن ينتظروا إلى الصباح .

ودق الجرس بشدة . فصاح "لويين" :

- يا للشيطان . يجب أن أفرغ من فتح الخزانة بسرعة . خلال ثوان
معدودة . وإلا ضاعت جهودي كلها ..

مهلاً يا "لويين" . لا تضطرب ولا تنزعج . ما هو المطلوب منك الآن ؟
أن تفتح خزانة لاتعرف عنها شيئاً . وأن تفرغ من مهمتك خلال ثلاثين
ثانية ؟؟ هذا أمر بسيط لا ينبغي أن يفقدك اتزانك وهدوء أعصابك . كل
ما ينقصك .. هو أن تعرف كلمة السر ، الكلمة التي تفتح بها الخزانة
فلنركم عدد حروف هذه الكلمة؟؟ إنها تتكون من أربعة حروف .
وفكر بسرعة .. وهو ينصت بانتباه . وعقله يسجل كل صوت يصل
إلى أذنيه .

واستطرد وهو يعبث بمقابض الخزانة :

- أربعة حروف . يا إلهي .. من ذا الذي يمد إلي يد المساعدة ؟؟ من
ذا الذي يستطيع إرشادي إلى الكلمة العالية ؟؟ من ؟؟ أه .. إنه "لافرنو"
بالتاكيد "لافرنو" الطيب . الذي ضحى بحياته لكي يبعث برسالة . يا
إلهي .. كم أنا مغفل !! بالتاكيد . بالتاكيد .. هدى من انفعالك وثورة

اعصابك يا "لوبيين" .. واسكت هذا القلب الذي يوشك أن يثب من حلقك.

وتحول إلى مقابض باب الخزانة . وحركها بعناية .
ثم تناول حزمة المفاتيح . وجرب المفتاح الأول . ثم الثاني . ثم وضع
المفتاح الثالث في ثقب القفل وحركه ففتحت الخزانة .
هتف .

- هنا الملايين التي تنتظرها .. معذرة ايها البارون .. كم احبك !
ولكنه لم يكذب ينظر في جوف الخزانة حتى تراجع إلى الوراء مذعورا
وارتجفت ركبتاه هلعا . وسقطت حزمة المفاتيح من يده . وظل في
مكانه جامدا بضع ثوان رغم أن الاجراس كانت تدوي في أرجاء القصر
بقوة وشدة .

ونظر إلى جوف الخزانة مرة أخرى . ثم رفع يديه على عينيه ليخفي
عنهما أقطع منظر رآه في حياته .

رأى أمامه في جوف الخزانة جثة امرأة نصف عارية ..
وقد ثني جسدها ووضع في الخزانة عنوة .. كما تدلى شعر رأسها
الجميل . وتجمدت قطرات الدم حولها في مواضع كثيرة . وبدأت
بشرتها زرقاء قاتمة تحمل جميع مظاهر التعفن الشديد .
هتف :

- البارونة .. إنها البارونة . ويل للوحش الآدمي .
.. وتخلص من ذعره وهلعه وجموده .. وأسرع إلى حيث كان البارون
ممددا على الأرض . وراح يركله بقدمه بشدة وهو يهتف :
- ايها النذل . ايها الوغد ..

* * *

وفي هذه الأثناء اشتدت الجلبة في أسفل البيت .
فأدرك "لوبيين" أن الخدم لابد قد استجابوا لرنين الاجراس ففتحوا
الباب الخارجي وسمع "لوبيين" وقع اقدام كثيرة . وأحس بضرورة
التفكير في وسيلة للخروج من المازق .

بيد أن ذلك لم يزعجه كثيرا . فقد شعر من هدوء البارون واطمئنانه وهو يتحدث إليه . أنه لابد أن يكون للبيت منفذ يستطيع التسلل منه .. وإلا لماذا هاجمه لو لم يكن واثقا من قدرته على التخلص من رجال البوليس الذين يحاصرون البيت ؟

وانتقل "لوبين" إلى الغرفة المجاورة . وكانت نوافذها تطل على الحديقة ... فانتظر حتى رأى آخر رجل من رجال البوليس يتوارى داخل المنزل ثم صعد إلى النافذة . وتعلق بالانابيب . وهبط إلى الحديقة .. ودار بالبيت ووجد في مؤخرته سورا من الأعشاب .. فنقذ منه . وقع بصره على باب صغير مخفى وراء الأعشاب . فعالجه بأحد المفاتيح التي وجدها في جيب البارون .

وما هي إلا لحظة حتى وجد نفسه في شارع سان اونوريه .. لقد تحققت ظنونه . فإن رجال البوليس قد غفلوا عن حراسة هذا المتفذ الخلفي الصغير .

وسألني "لوبين" بعد أن سرد عليّ حوادث تلك الليلة المزعجة :
- ما قولك في هذا البارون "ربستين" ؟ ! لقد القى عليّ درسا لن أنساه . ولن أغتر بعد اليوم بالمظاهر الخادعة .. أقسم لك أنني كنت مرارا أن أدعه وشانه . فقد نجح إلى حد كبير في إقناعي ببساطته وبراعته .
فسألته :

- ولكن ملايين الفرنكات !! وجواهر الأميرة "دي بيرني" ؟؟
- كانت كلها في الخزانة . وأذكر أنني رايت في الخزانة حزمة كبيرة لاشك أنها كانت تشتمل على النقود والجواهر .
- وماذا فعلت بها .
- إنها لاتزال في موضعها .
- مستحيل .

- أقسم لك أنني تركتها هناك . كان في مقدوري أن أزعم أن هجوم البوليس أفرعني . واضطرتني إلى ترك الغنيمة . ولكن ذلك غير الواقع ..

الحقيقة في منتهى البساطة ، وهي أن الرائحة المنبعثة من الخزانة

كانت لاتطاق .

- ماذا !

- لقد كانت الخزانة اشبه بتابوت . وكانت الجثة في حالة تعفن وتحلل تامين .. وقد شعرت بدوار . ولو بقيت امام الخزانة لحظة اخرى لفقدت وعيي .

كلام سخيف . اليس كذلك !! ولكنه الحقيقة .. هذا كل ما اصابته من الغنيمة .. الدبوس الثمين الذي يزين رباط عنق البارون إنه لايساوى اكثر من ربع مليون فرنك .

- سؤال أخير .. كيف عرفت كلمة السر التي فتحت بها الخزانة .
- هذه مسألة تافهة . والواقع . أنني دهشت لأنني لم افطن إلى هذه الكلمة بأسرع من ذلك .

أخبرني .

- إنني عرفتها من الرسالة الضوئية التي بعث بها "لافرنو" .
- وكيف ..

- الا تذكر الأخطاء الهجائية التي لاحظتها في الرسالة .
- الأخطاء الهجائية !!

- بالتأكيد . هذه الأخطاء كانت مقصودة ومتعمدة . ومن غير المعقول أن رجلا مثل "لافرنو" .. يشغل وظيفة سكرتير رجل متشعب المصالح كالبارون ... يمكن أن يخطئ في إملاء بعض الكلمات الإنجليزية لقد وضعت الحروف التي وقع فيها الخطأ جنبا إلى جنب . فبرزت أمامي كلمة (أتنا) وهي اسم جواد البارون الذي فاز بالجائزة الأولى في سباق هذا العام .

- هل كان في هذه الكلمة الكفاية !!

- بالتأكيد . إنها التي لفتت نظري منذ البداية إلى قضية "ربستايين" التي شغلت الصحف والرأي العام طيلة الأسبوعين الأخيرين .

كنت أعرف أن صاحب الجواد (أتنا) هو البارون "ربستايين" . وهكذا امسكت بطرف الخيط ..

كذلك كانت (أتنا) هي كلمة السر التي تفتح بها الخزانة ..

وقد تعمد "لافرنو" الخطا الهجائي ليبرز هذه الكلمة لصديقه الإنجليزي لسببين أولهما أنه يعرف الوديعة المفزعة التي في داخل الخزانة . والثاني لأنه أراد أن يشي بالبارون دون أن يذكر اسمه صراحة .

و قد كانت الرسالة الضوئية كذلك هي السبب في أنني استنتجت وجود صديق لـ "لافرنو" في البيت الذي سقطت عليه الأشعة . وفي أن الصديق إنجليزي . وأن الرجلين يتقابلان لتبادل الصحف والمجلات المصورة .. فالصحف الإنجليزية كما تذكر هي التي ابتكرت هذا النوع من المراسلة لتسلية قرائها . ثم نقلته عنها الصحف الفرنسية . وأصبحت المراسلة بالإشارات الضوئية هواية عدد كبير من قراء الصحف في إنجلترا وفرنسا .

فقلت :

- إن هذا يفسر كل شيء .

- نعم . وهذه القضية بالذات توضح لك كيف أن إمطة اللثام عن معميات بعض الجرائم تتطلب شيئا آخر غير مجرد وزن الحقائق .. والاستنتاج وتعقب الآثار ..

إنها تتطلب الذكاء . والوحي . والإلهام .. ومن حسن الحظ أن "لوبين" - بغير فخر - لا ينقصه شيء من هذا جميعه .

أين اللص ؟

في الساعة الرابعة من مساء أحد الأيام وقد بدأ النهار ينصرم .. رجع المزارع "جوسوت" وابناؤه الأربعة إلى البيت بعد أن أمضوا نهارهم في الصيد والقنص . وكان الرجال الخمسة طوال القامة عريضي المناكب مفتولي السواعد لوحت الشمس بشرتهم ولكل منهم رأس صغير الحجم ذو جبين ضيق منبعج وشفتان رفيعتان وأنف معقوف وسحنة قاسية تنم عن الشدة والبطش وكان جميع أهل القرية يهابونهم وينفرون منهم وكانوا معروفين بالجشع .

وحين بلغوا الجدار المرتفع الذي يقوم حول أملاك "هيبرفيل" فتح الأب الباب بمفتاح ضخم رده إلى جيبه بعد أن دخل أولاده وقد تبعوه على الأثر وسار الجميع في الطريق الذي يتخلل الأشجار .

وقال أحد الأبناء الأربعة :

- أرجو أن تكون أُمي قد أشعلت المدفأة .

فقال الأب :

- إنني أرى دخاناً منبعثاً من المدخنة .

وبدت معالم البيت على البعد في نهاية الحديقة . وقد تراءت أبراج الكنيسة خلفه شاهقة تناطح السحب .

وقال "جوسوت" :

- البنادق كلها فارغة . أليس كذلك ؟

فقال الابن الأكبر :

- عدا بنذقتي فقد حشوتها لأجرب مهارتي .

وكان أشدهم زهوا وغرورا ببراعته في إصابة الهدف .

وتحول إلى إخوته قائلاً :

- انظروا إلى هذا الغصن ... عند رأس شجرة الفراولة .. سأنشره

نصفين .

وكانت فزاعة الطيور على الغصن . وهي تمثال مصنوع من الأقمشة

على صورة الإنسان يثبت فوق الأشجار حتى إذا رآته الطيور حسبته إنسانا ففرت فزعة .

ورفع الابن الأكبر بندقيته وسدها إلى الغصن واطلق النار . وترنج التمثال وهوى على شكل مضحك . ثم علق باحد الأغصان السفلى فظل منبطحا عليه فوق بطنه . وعلى رأسه قبعته المعهودة المصنوعة من الخرق البالية . أما ساقاه المحشوتان بالقش فكانتا تهتزان وتتارجحان يمينا ويسارا .

وأضحكهم هذا المنظر . وقال الأب مقرظا :

- رصاصة صائبة يا بني . وفضلا عن هذا فقد بدأ تمثال الفزاعة يضايقني ويثقل على صدري . وما جلست يوما أتناول طعامي في الشرفة إلا استقر بضري على التمثال وخيل إلي أنه يرمقني بنظرات شرهة .. شكرا على أنك أرحمتني منه .

وساروا بضع خطوات .

وحين صاروا من الدار على قيد ثلاثين خطوة وقف الأب فجأة في مكانه وهتف يقول :

- ما هذا ؟..

وكذلك جمد الأبناء الأربعة في أمكنتهم وأرهقوا السمع .

وقال أحدهم في صوت خافت :

- إن الصوت صادر من البيت .. من غرفة الغسيل ..

وتمتم ثان يقول :

- كأنني به صوت تاوهات .. وامي وحدها في البيت وفجأة دوت صرخة حادة .

وانطلق الرجال الخمسة صوب الدار .

ثم صرخة أخرى .. أعقبتها صيحات يأس وقنوط .

وهتف الابن الأكبر الذي كان يتقدم الجمع :

- إننا هنا .. إننا آتون .

ولما كان الطريق إلى البيت ملتويا فقد وثب الابن الأكبر إلى أقرب نافذة إليه وهشم زجاجها بقبضة يده وقفز إلى الداخل .

وكانت الغرفة التي ولجها هي المخدع الذي ينام فيه أبواه أما الغرفة

المجاورة فكانت غرفة الغسيل حيث اعتادت الأم "جوسوت" أن تمضي
سحابة نهارها .

وحين رآها طريحة على الأرض غارقة في الدماء صرخ يقول :

- يا إلهي . أبت .. أبت ..!

وصاح الأب "جوسوت" :

- ماذا جرى ؟.. أين هي ؟..

وحين استقربصره عليها صرخ يقول :

- يا إلهي .. ما معنى هذا ؟.. ماذا فعلوا بك يا أماه ؟..

واستجمعت المرأة قواها .. وبسطة ذراعها وتمتمت في صوت

ضعيف :

- الحقوا به .. من هذه الناحية .. هذه الناحية .. إنني بخير .. خدش

أوخدشان . الحقوا به لقد سرق مالنا .

صرخ الأب و ابناؤه :

- سرق المال ؟!

وانطلقوا صوب الباب الذي أشارت إليه الأم وهم يرددون :

- سرق المال .. تبا له .. ؟ هيا وراء اللص ..

وارتفع من اقصى الدهليز الذي ساروا فيه صوت أحدهم يقول :

- رأيته .. رأيته ..

صاح آخر :

- وأنا أيضا .. لقد ارتقى السلم ..

- كلا .. ها هو ذا ينزل ثانية :

وكانت مطاردة جنونية حامية . مطاردة اهتزت لها كل غرفة في

البيت حتى كادت تتصدع منها الجدران .

وحين بلغ الأب "جوسوت" نهاية الدهليز لمح رجلا واقفا عند الباب

الامامي وهو يحاول فتحه .

ولو انه افلح في فتح هذا الباب لاستحال اللحاق به إذ ليس أيسر

من التستر بالأشجار واجتياز الحديقة ثم التغلغل في أزقة القرية

وطرقها .

و أسرع الأب "جوسوت" وانقض على الرجل وهو يعالج الباب ولكن

هذا تلقاه بضربة القته على الأرض صريعا . ثم رجع على عقبه يجتاز
الدھليز ثانية والأبناء الأربعة في أثره حتى إذا انتهى إلى المخدع
تخطى سياج النافذة المهشمة وقفز إلى الحديقة واختفى .

وانطلق الرجال في أثره يجوسون خلال الحديقة ويبحثون عنه بين
شجيراتھا الملتفة . وقد بدأ الظلام يرخي سدوله .

وصاح الأب "جوسوت" وهو يضحك :

- وقع الشرير في الفخ .. لا مهرب له . إن السياج مرتفع لا سبيل
إلى تخطيه .. سنظفر به حتما .

وكان بعض المزارعين الذين يعاونونه في العمل قد رجعوا من القرية
في هذه اللحظة فانبأهم بما وقع وأعطى كلا منهم بندقية وقال :

- إذا تراءى لكم شبحة فلا تترددوا في إطلاق النار .. إياكم أن
تأخذكم به رحمة أو شفقة ..

ثم حدد لهم المواقع التي يقفون فيها و أسرع إلى بوابة المزرعة التي
لا تستعمل إلا لمرور المركبات : فلما أيقن من أنها مغلقة ذكر إذ ذاك -
وإذ ذاك فقط - أن زوجته جريحة وأنها قد تكون في حاجة إلى شيء
من الإسعافات فرجع إليها وأقبل عليها يسألها :

- كيف حالك يا عزيزتي ؟

- أين اللص ؟.. أظفرتم به ؟..

القت إليه هذا السؤال في أنفاس متقطعة مبهورة فاجابها :

- إننا نجد في أثره . ولن يفلت منا . وأغلب ظني أن الأولاد قد

اقتنصوه الآن..!

وكان في هذا النبا ما أبهج قلبها ورد إليها قواھا الضائعة . وصب
زوجھا في حلقھا رشفا من الشراب فانتعشت واستطاعت أن تنتقل إلى
فراشھا مستندة إلى ذراع "جوسوت" .

ثم شرعت تروي قصتها . وكانت قصة وجيزة مختصرة قالت إنها
فرغت من إشعال المدفأة في قاعة الجلوس وجلست عند نافذة مخدعھا
تطرز قطعة من القماش مترقبة عودة زوجها وأبنائها حين خيل إليها
أنھا سمعت صوتا صادرا من غرفة الغسيل .

وقالت في نفسها : لاشك أنني سهوت عن إخراج القطة فحبستها

هناك .

ومضت إلى الغرفة دون أن تخالجه ذرة من الريبة . على أنها ما كادت تتخطى العتبة حتى ادششها أن ترى الدولاب الذي تودع فيه المال المدخر مفتوحا على مصراعيه . فسارت إليه وهي لا تتوقع شرا فإذا بها ترى رجلا واقفا عند الدولاب .

فقال الأب "جوسوت" :

- ولكن كيف استطاع الدخول ؟

- من الدهليز فيما اعتقد . فإننا لم نعتد إغلاق الباب الخلفي .

- وهل هجم عليك ؟..

- لا .. بل أنا التي هجمت عليه . فحاول أن يفر هاربا .

- كان ينبغي أن تدعيه ولا تحاولي اللحاق به ..

- والمال الذي سرقه .. أدعه يهرب بما ادخرنا ؟..

- أكان إذن قد سرقه في هذه اللحظة ؟..

- بالتأكيد .. لقد رايت رزمة الأوراق المالية في يده .. ألا سحقا له ..

لو استطعت لقتلته في هذه اللحظة .

- ألم يكن مسلحا ؟..

- لم يكن سلاحه خيرا من سلاحي . كان كل منا مدججا بأصابعه

وأظفاره وأسنانه .. لقد عضني هنا .. وقد اضطرت أن أصرخ .. لا

تلمني فأني لست إلا امرأة طاعنة في السن .. وقد أكرهني اللعين على

أن أتخلى عنه وأطلقه .

- اتعرفينه ؟..

- إنني موقنة أنه "ترينارد" العجوز .

- الويل له .. نعم .. لابد أنه "ترينارد" اللعين . ولقد خيل إلي أنا

أيضا أنني عرفته . ولقد لمحته في الأيام الثلاثة الماضية يحوم حول

البيت لا ريب أن الشقي قد استشعر أن لدينا مالا مدخرا ، تبأ لك يا

"ترينارد" سوف ترى أنني ساعرف كيف انتقم .. اسمعي يا عزيزتي أفي

وسعك الآن أن تزايلي فراشك .. حسنا .. انهبي إذن واخطري الجيران

بما وقع واطلبي إليهم أن يبادروا باستدعاء البوليس .. ليت شعري

كيف استطاع "ترينارد" العجوز أن يجري . نعم نعم عهدي به كالأرنب

قوي السيقان ...

ولم يكن في نية "جوسوت" أن يتهاون لحظة واحدة في إنزال العقوبة الصارمة بـ "ترينارد" الشيخ . كان في نيته إذا ما اقتنصه أن ينهال عليه ضربا بالسوط ثم يسلمه إلى رجال البوليس .

وتناول المزارع بندقية ولحق برجاله الذين أرصدهم للمراقبة وقال :

- ألم يجد شيء ؟ .

- كلا .

- لن يطول انتظارنا إذن ..

ومن لحظة لأخرى كانوا يسمعون صوت الإخوة الأربعة ينادي بعضهم بعضا وهم يجوسون خلال الحديقة ويضربون بمقابض بنادقهم فيمابين الشجيرات . ولكن التوفيق أخطاهم فلم يهتدوا إلى مخبا اللص .

أخيرا رجع أحد الأبناء وعلى وجهه امارات الخيبة ولم يحاول أن يكتم رايه فقال :

- الظلام حالك يا أبتاه . فلا فائدة ترجى من مواصلة البحث الليلة ولاشك أن اللعين قد اختفى في إحدى الحفر .. فاولى بنا أن نرجى المطاردة حتى الصباح .

فصاح الأب :

- الصباح .. ماذا دهاك يا بني ؟ . أفقدت الجلد و الشجاعة ؟ .

وجاء الابن الأكبر إذ ذاك مبهور الأنفاس .. يتصبب جبينه عرقا . وشاطر أخاه رايه .. واي ضرر يمكن أن يؤدي إليه الانتظار واللص حبيس بين جدران المزرعة العالية كأنه نزيل سجن لاسبيل له إلى الفكاك منه ؟ .

فصاح الفلاح الشيخ :

- إذن ساتولى البحث بنفسي .. أشعلوا لي مصباحا ..

وفي هذه اللحظة وصل ثلاثة من رجال الشرطة يصحبهم نفر من أهل القرية جاءوا يستطلعون آخر الأنباء .

وكان الضابط الذي يتولى رئاسة الشرطة ولوعا بالنظام فاصر على أن يسمع القصة أولا بحذافيرها قبل أن يشرع في البحث . فلما فرغ

الاب "جوسوت" من روايته غرق الضابط في التفكير . ثم راح يطرح شتى الاسئلة على الإخوة الأربعة كل على انفراد .. وكان إذا ما فرغ من استجواب أحدهم أطال التفكير. وأخيرا حين عرف أن اللص فر هاربا صوب الجهة الخلفية من المزرعة وأن اثره قد اختفى بالقرب من مكان معروف باسم "بيت الغربان" فكر طويلا ثم أدلى براهيه قائلا :

- أولى بنا أن ننتظر .. إن المطاردة في هذا الظلام الحالك ستهيئ لـ"ترينارد" العجوز سبيلا إلى الإفلات من بين أيدينا دون أن نشعر به .. والآن أسعدتم مساء .

و هز الاب "جوسوت" كتفيه حنقا ولعن الضابط في سره ولكنه كان لابد من بسط رقابة شديدة على المزرعة حتى لا يحاول اللص الفرار في أثناء الليل .. فتولى الضابط بمساعدة الاب "جوسوت" توزيع أهل الدار وبعض المزارعين والقرويين في شتى الأنحاء . فأرصدوا هذا هنا وذاك هناك . ولما اطمأن الضابط إلى كمال خطته الحربية أوى إلى الدار وامضى الليل يحتسي كؤوس الشراب التي قدمها إليه "جوسوت"

وانقضى الليل في سلام .

وكلما انقضت ساعتان غادر الضابط الدار وطاف بمراكز المراقبة ليطمئن إلى أن الرجال ساهرون متيقظون . ولم يقع أي حادث يثير الشبهات . إذن فلا يزال "ترينارد" منزويا في الحفرة التي أوى إليها . وبدأت المعركة عند الفجر واستمرت أربع ساعات .

وفي خلال هذه الساعات الأربع لم يدع المطاردون شبرا من الثلاثة عشر فدانا المسورة بالجدران العالية إلا ونقبوا فيه ... ولم يتركوا ركنا من الأرض إلا قلبوه رأسا على عقب . كل حفرة فتشوها وكل زاوية بحثوا فيها وجعلوا يجوسون خلال الشجيرات المتكاثفة بعصيهم . . . ويطئون الأعشاب الطويلة النامية بأقدامهم ... ويزحزون أغصان الأشجار وينظرون فيما بينها .

ومع ذلك لم يقعوا على أثر لـ "ترينارد" العجوز . وقال "جوسوت" مزجرا :

- إن الأمر محير مريب . . .

وقال الضابط مؤمنا :

- الحق أنه يدعشني أنا أيضا ..

ولم تتفتق الأذهان عن أي تعليل لهذا الاختفاء العجيب ..

ولم يكن في المزرعة إلا عدد قليل من الشجيرات وقد بحثوا في خلالها بحثا دقيقا .. أما الأشجار فكانت كلها عارية من الأوراق ولم يكن ثمة سبيل إلى الاختفاء فيها . ولم يكن هناك بناء أو كوخ أو كهف . وقصارى القول إنه لم يكن في المزرعة مخبا يختفي فيه "ترينارد" العجوز والمخابئ الموجودة فتشت كلها ونقبت .

وقال أحد الحاضرين :

- يحتمل أن يكون قد تخطى الجدار .

واتجه البحث إلى هذه الناحية .. ولكن الراي ما لبث أن اجتمع على أن تسلك الجدار مستحيل .

وبعد الظهر تولى قاضي التحقيق ووكيل النيابة التحقيق ولكنه لم يسفر عن شيء جديد . بل لقد تسرب الشك إلى نفوس المحققين ووقع في روعهم أن الحادث اكذوبة ملفقة لاذل لها من الحقيقة وإن الاعتداء المزعوم على الأم "جوسوت" لم يقع مطلقا ..

وقال القاضي يسأل "جوسوت" :

- أموقن أنت يا "جوسوت" من أن البصر لم يخدعك أنت وابناءك فرايتم شيئا لا وجود له ؟

فقال المزارع وقد استولى عليه الغضب :

- وما يكون من شأن زوجتي ؟.. أكانت مخدوعة هي أيضا حين انقض عليها الشرير واطبق على عنقها ؟.. إذا خالجتك الريبة في قلبي فافحص عنقها وانظر إلى ما هو مطبوع عليه من آثار الأصابع .. فقال القاضي :

- حسنا .. حسنا .. ولكن أين اللص إذن ؟

- هنا حبيس بين هذه الجدران ..

- إذن عليك أن تجده .. مادمت موقنا من وجوده فأتنا به . أما نحن فقد أدركنا اليأس وقطعنا الرجاء .. ومن الواضح أنه لو كان اللص مختبئا بين جدران هذه المزرعة لكنا الآن قد وفقنا حتما إلى الاهتداء

إليه .

فصاح "جوسوت" في انفعال :

- أقسم إنني سأظفر به .. سأظفر به مهما اقتضاني الأمر .. لن يقال في يوم من الأيام إن لصا سلب "جوسوت" ستة آلاف فرنك .. نعم ستة آلاف فرنك ..

لقد بعث ثلاث بقرات .. ثم هناك ثمن محصول القمح ! و ثمن ثمار التفاح .. ستة آلاف فرنك أوراق مالية كنت موشكا أن أمضي بها إلى البنك .. أقسم إنني سأظفر به ، وإنني اعتبر المال كأنه موجود الآن في جيبتي .

فقال قاضي التحقيق :

- حسنا .. أتمنى لك التوفيق .

ثم انصرف وفي رفقته وكيل النيابة يتبعهما رجال الشرطة وكذلك أخذ الجيران ينصرفون تباعا . وما انقضت ساعات بعد الظهر حتى كان الجمع كله انفض ولم يبق إلا "جوسوت" واثنان من عمال المزرعة و أولاده الأربعة .

ومضى "جوسوت" يشرح الخطة التي اعتزم تنفيذها : عليهم أن يواصلوا البحث طيلة النهار دون كلل أو ملل . فإذا ما هبط الليل راقبوا المكان مراقبة دقيقة . وسيستمرون على ذلك مهما طال الأمر . إن "ترينارد" العجوز ليس إلا بشرا فلامفر له من أن يأكل ويشرب ، إنه لن يموت جوعا . وسترغمه هذه الحاجات على أن يتسلل من مخبئه ليأكل ويشرب .. وسيكونون له بالمرصاد فإذا ما زایل مكانه انقضوا عليه وأخذوا بتلابيبه .

قال "جوسوت" :

- يحتمل أن يكون في جرابه بعض من لقيمات الخبز . وقد يسطو على ثمرة أو ثمرة من التفاح في أثناء الليل . أما الماء فلا سبيل له إليه .. ليس في الحديقة إلا عين واحدة . وإنه ليكون شيطانا من الجن إذا استطاع أن يصل إلى العين !

وفي تلك الليلة تولى "جوسوت" بنفسه حراسة العين .

وبعد ثلاث ساعات حل الابن الأكبر مكانه . وقد أمضى عمال المزرعة

ليلتهم في الدار وهم يتبادلون نوبات الحراسة وقد اشعلوا المصابيح والقناديل كلها حتى لا يؤخذوا على غرة .

ودأبوا على هذه الرقابة أربع عشرة ليلة متوالية ..! في أثناء الليل مسهدون يرقبون و في أثناء النهار يفتشون وينقبون ! وفي الليلة الأخيرة كانت الأمور كشأنها في الليلة الأولى لايزال اللص مختفيا ومعه الستة آلاف فرنك ..!

ولم يكف "جوسوت" الأب لحظة واحدة عن الشتم والسب . . إنه موقن من أن "ترينارد" مختف في المزرعة ولكن في أي ركن منها ؟ . واستدعى "جوسوت" شرطيا سريا ممن اعتزلوا الخدمة وعهد إليه بمعاونتته في البحث . وأقام الشرطي السري أسبوعا كاملا في المزرعة .. ومع ذلك لم يهتد إلى "ترينارد" العجوز بل لم يوفق إلى أي اثر يمكن أن يحيي الآمال في الصدور . وقال "جوسوت" الأب :

- إنه لغز محير .. ! لغز محير جدا ..! إنني موقن من أنه موجود .. . نعم .. إنه هنا حبيس بين جدران هذه المزرعة .. . ووقف "جوسوت" على عتبة الدار وصاح بملء صوته موجها حديثه إلى اللص المختفي :

- ألا تعلم أيها الأحمق أنه لا سبيل لك إلى الفرار وأنك ستموت اختناقا في حفرتك ؟ اتحسبني أرضى بأن أفرط في الستة آلاف فرنك .. . اختف إذن أيها الغبي الأحمق فإنني لك بالمرصاد ولن تغفل لي عين .. ورددت الأم "جوسوت" شتائم زوجها وصرخت بصوتها الحاد النبرات : - إنك خائف من أن نزجك في السجن .. حسنا .. أعد إلينا الأوراق المالية نطلق سراحك على الفورو لن نسلمك إلى البوليس .. .

ولكن "ترينارد" العجوز لبث لا نذا بالصمت لا ينطق بكلمة ولا يكشف لهما مخبأه على الرغم من مواصلتهما النداء حتى يبح صوتاهما وتتابعت الايام ...

وبلغ من قلق "جوسوت" وما أرهق به نفسه في أثناء البحث أنه أصيب بالحمى أما ابناؤه فساعت أخلاقهم ونزعوا إلى الشراسة والمشاكسة وكانوا لا يتخلون لحظة واحدة عن بنادقهم وفي عزمهم أن

يطلقوا النار على اللص بلارجمة إذا ما استقرت عليه أبصارهم .
ولم يكن للقرية من حديث غير هذه السرقة .
ورددت الألسن القصة حتى انتهت إلى صف المدينة فتناقلتها .
وأوقدت بعض الصحف رجالها للتحري .. بل لقد أوقدت بعض صحف
باريس مندوبيها غير أن 'جوسوت' لقي رجال الصحافة غاضبا
وأوصد بابه في وجوههم حانقا وهو يقول :
- كل إنسان ملك في داره .. فلاتتعرضوا لشؤوني .. هذا امر
يعنيني وحدي فلاتدخلوا ..

- ولكن ألا ترى يا 'جوسوت' ...

- لست أرى شيئا .. اغربوا عن وجهي

وصفق الباب في وجوههم .

وإلى هذه اللحظة كان قد مضى اسبوعان و 'ترينارد' العجوز حبيس
بين جدران المزرعة .. ولم يتهاون 'جوسوت' في البحث لحظة واحدة .
كان يوالي التنقيب بنفس الهمة التي بدأ بها في اليوم الأول . وإن
كان رجاؤه قد أخذ يضعف تدريجيا كأنما استشعر أن في الأمر سرا
خارقا للطبيعة لاسيلا لقدرة بشرية إلى التغلب عليه وكشف معمياته
وبدا اليأس يتسرب إلى نفسه .. ووقع في روعه أنه لن يرى للمال
المسروق ظلا .

* * *

وذات صباح .. وفي نحو الساعة العاشرة .. كانت هناك سيارة
تجتاز ساحة القرية بسرعة خارقة .
وفجأة هدأت السيارة من سرعتها ووقفت دفعة واحدة وأصبحت
بخلل .

وفحصها قائدها فحسا دقيقا وقرر أن إصلاح العطب سيستغرق
وقتا فلم ير صاحبها مندوحة إزاء هذا من المضي إلى فندق القرية
ليتناول الغداء ويصيب شيئا من الراحة ريثما يتم إعداد سيارته .
وكان صاحب السيارة في العقد الرابع من العمر بش الوجه رقيق
الحديث حلوه وما أمضى في الفندق فترة وجيزة حتى لقي من

أصحابه كل عناية لمطابع عليه من البشاشة ورقة الجانب .
ومن المؤكد أن يرووا له قصة "جوسوت" واللص الخفي .
ولم تكن قد بلغت من قبل . إذ كان مسافرا في الخارج ، ولم يعد إلا
منذ أيام قليلة ، ولكن الحادث استرعى اهتمامه وطالب له أن يسمع
التفاصيل . وكان في خلال ذلك لا يفتأ يستفسر عن بعض النقاط
المبهمة ، واشترك في الحديث جميع الجالسين إلى الموائد الأخرى وكل
يدلي بنظريته وبالتفسير الذي يراه مبيدا للظلمات .
وأخيرا قال صاحب السيارة :

- كلام فارغ . . لست أعتقد أن للحادث كل هذا الغموض ، ولقد مرت
بي من قبل تجارب من هذا النوع . ولو أنني كنت موجودا في المزرعة
لاستطعت أن . .

فقال صاحب الفندق مقاطعا :

- ليس أيسر من أن ندبر لك الأمر ، إن المزارع "جوسوت" صديق لي
وما أحسبه سيخيب رجائي .
وخف صاحب الفندق إلى "جوسوت" . وكان المسكين قد بلغ من
القنوط حدا لا يملك معه رفضا أو قبولا . أما زوجته فقالت :
- فليحضر هذا السيد إذن . من يدري .

ودفع السيد ثمن طعامه ، ونبه على سائقه بأن يلحق به فور فراغه
من إصلاح السيارة وقال له :

- الحق بي عند المزرعة بعد ساعة . . ساعة واحدة ليس إلا فلست
في حاجة إلى أكثر منها .
ثم مضى إلى مزرعة "جوسوت" .

وفي المزرعة أوصى إلى "جوسوت" وكان "جوسوت" مسهبا في حديثه
ميالا إلى الثرثرة والإفاضة ، فقاد السيد إلى الجدران التي تسور
المزرعة وأراه المفتاح الذي أغلق به الباب ، ومضى يشرح له تفاصيل
البحث الذي قام به مع رجاله .

ومن الغريب أن هذا السيد كان شارد الذهن كأنه لا يصغي إلى
حديث "جوسوت" . كان يرمي ببصره هنا وهناك في شروود دون أن
يتكلم ولما فرغوا من الطواف بالمزرعة قال "جوسوت" :

- هيه . . ماذا ترى ؟

- ماذا أرى ؟

- اتظن أنك كشفت الحقيقة ؟

ومرت لحظة دون أن يحير الزائر جوابا .

ثم قال :

- لا . .

فرمى المزارع بيديه إلى السماء وهتف يقول :

- بالتأكيد لا . . أنى لك أن تكشف الحقيقة وقد سعيينا إليها من قبل
طيلة أسبوعين كاملين . أتريد أن اصارك برأيي ؟ . إنني أعتقد أن
"ترينارد" العجوز قد قضى نحبه في الحفرة التي لاذ بها . ومعه
الأوراق المالية ! . نعم إن أمواله معه . . ستبلى إلى جانب جثته . .
هذا هو رأيي وأنا واثق أنه عين الصواب !

ولما أمسك "جوسوت" عن الكلام قال الزائر الغريب في صوت هادئ :

- هناك شيء واحد يثير الاستغراب . لاشك أن اللص استطاع في
أثناء الليل أن يقتطف من الثمار ما يقتات به حتى لا يموت جوعا . .
ولكن كيف احتال على إطفاء ظمئه وأنتم ترصدون العين !

- لست أدري . ليس في الحديقة كلها إلا عين واحدة هذه العين . .
ولم تغفل عنها لحظة واحدة طيلة الأيام الماضية . . لا ليلا ولا نهارا !

- ومن أين تنبغ هذه العين ؟

- من هذا المكان الذي تقف عنده ؟

- أهنالك ضغط كاف يرسل الماء إلى الحوض من تلقاء نفسه ؟

- نعم .

- وإلى أين يجري الماء إذا ما خرج من هذا الحوض ؟

- يجري في هذه الأنبوبة الممتدة تحت الأرض حتى ينتهي إلى
البيت . فلا سبيل له كما ترى إلى إطفاء ظمئه . ونحن نرصد المكان
ليلا ونهارا .

- ألم تمطر السماء في خلال الأسابيع الأربع الماضية ؟

- كلا . لم تمطر ولا مرة واحدة .

وسار الزائر إلى النبع وفحصه . وكان الحوض عبارة عن بضعة
الواح من الخشب ضم بعضها إلى بعض . والماء يجري من خلالها .
وقال الزائر متسائلا :

- اظن ان عمق الماء لايزيد على ثلاثين سنتيمترا . ؟ اليس كذلك . ؟
ولكي يقيسه تناول عودا من القش أرسله في اغوار الماء .
ولكن فجأة . . رفع رأسه وابتسم وقال :
- أمر غريب . !
ثم انفجر يضحك .
وجرى "جوسوت" إلى الحوض وجعل يحملق إليه كأنما خطر له ان
اللس يمكن ان يكون مختبئا بين الألواح وقال :
- هيه . ! ما الذي جرى ؟ ما الذي يضحكك ؟
وهتفت الأم "جوسوت" قائلة .
- هل اهتديت إليه ؟ هل رأيته ؟ و أين هو ؟
فقال الزائر وهو لايزال مستغرقا في الضحك :
- اطمئنوا إنه ليس بين الألواح ولا تحتها . !
وسار السيد الغريب إلى البيت وفي أثره "جوسوت" وزوجته . وكان
صاحب الفندق ونفر من أهل القرية قد حضروا إلى المزرعة وجعلوا
يراقبون حركات الزائر في صمت وسكون .
قال الزائر وقد أشرق وجهه وعلت شفثيه ابتسامة خفيفة :
- كان الأمر كما توقعت . لم يكن هناك مفر من أن يروي اللص ظمأه .
ولما لم يكن هناك غير العين . .
فقال "جوسوت" مقاطعا :
- اسمع . لو أنه جاء إلى العين لرأيناه . !
- إنه لم يكن يطفئ ظمأه إلا ليلا .
وكنا أحرىء بأن نسمع وقع خطواته . بلى لقد كنا أحرىء بأن نراه
ايضا إذ كنا على قيد خطوات قليلة من العين .
- واللس ايضا على قيد خطوات قليلة من العين .
فقطب الأب "جوسوت" جبينه وقال :
- أكان يشرب الماء من الحوض ؟
- نعم . .
- كيف ؟
- بطريقة ما .
- أية طريقة ؟
- هكذا .

وبسط الزائر عود القش الذي التقطه من الأرض ليقيس به غور الماء واستطرد يقول :

- بواسطة هذا العود استطاع اللص أن يشرب من الحوض . تأمله إنه ليس عودا واحدا وإنما هو عود طويل مؤلف في الواقع من ثلاثة أعواد تداخلت أطرافها . وهذا أول شيء استرعى بصري . ما الذي يدعو إلى إيصال هذه الأعواد الثلاثة ببعضها ببعض ؟ هذا العود كما ترى دليل قاطع .

فقال "جوسوت" في شيء من الارتباك :

- دليل قاطع على أي شيء ؟

وتناول الرجل الغريب بندقية معلقة على جدار الغرفة وقال :

- أهي محشوة ؟

فاجاب الأخ الأصغر :

- نعم . وقد اعتدت أن اصطاد بها العصافير . إنها محشوة

بالخرطوش فقط .

- حسنا . إذن فلن يؤذيه الخراطوش ولكنه سيكشف لكم مخابه .

ثم علت وجهه أمارات الجذو وقال في لهجة صارمة وقد أخذ بذراع "جوسوت" :

- اسمع يا "جوسوت" . إنني لست بوليسا سريا . وما جئت لأقبض على السارق . لهذا لن أَرْضَى مطلقا بأن يزج في السجن .. وحسبه قصاصا أنه أمضى حبيسا في المزرعة أربعة أسابيع عانى في خلالها الالم الجوع ونوبات الخوف وهذا عندي أبلغ عقاب يمكن أن ينزل به فعندي بشرفك أنت وأولادك أنكم لن تتعرضوا له بسوء وأنكم لن تسلموه إلى البوليس .

- يجب أولا أن يعيد إلينا المال المسروق .

- بالتأكيد . بالتأكيد هيا أقسموا .

وأقسم "جوسوت" وأولاده .

وسار السيد الغريب صوب باب الحديقة . ثم رفع بندقيته في حركة سريعة وسددها إلى ناحية شجرة الفراولة وأطلق النار .

وارتفعت صرخة جادة وسقطت إلى الأرض فزاعة الطيور . ذلك التمثال المصنوع من العصي والأقمشة على صورة الإنسان . كان طيلة الشهر الماضي معلقا فوق الغصن . أما الآن فهو إلى الأرض على أنه

ما كاد يبلغها حتى نهض واقفا وانطلق يجري .
وذهل الحاضرون حين راوا تمثالا من القش والعصي والخرق
البالية تدب فيه الروح ويجري !

وحين تبددت صدمة الذهول الأولى تصايح الحاضرون وانطلقوا
يركضون في أثر التمثال ! وكان المسكين يتعثر في خطواته والخرق
البالية تعوق حركته فلحقه المطاردون .

ولكن قبل أن ينقضوا عليه كان السيد الغريب قد خف إليه وبسط
عليه حمايته و زاد عنه أبناء الأب "جوسوت" .

- ارفعوا عنه أيديكم .. ولن أسمح لمخلوق بأن يمد إليه يدا بالاذى ..
ثم التفت إلى "تمثال الفزاعة" وقال :

- أرجو ألا أكون قد أذيتك كثيرا يا "ترينارد" ..

- وكان "ترينارد" واقفا على ساقين لفتا بالقش والخرق .. وكذلك كان
شان نراعيه . أما وجهه ورأسه فقد اختفيا وراء أكדاس الخرق البالية
التي لفهما بها . فلو أنك نظرت إليه لما خطر لك إلا أنه تمثال الفزاعة
وما خطر لك أن هناك رجلا قد اختفى داخل التمثال والقى على نفسه
كساءه وخرقه . وكان المنظر عجيبا وغير متوقع فلم يملك الحاضرون
أنفسهم من الإغراق في الضحك .

وأزاح السيد الغريب الاقمشة التي يلف بها الرجل رأسه فكشف عن
وجه قذر ولحية بيضاء . وتتوسط الوجه الهضيم الهزيل عينان
تلمعان بتأثير الحمى .

واشتد ضحك الحاضرين .

وصاح "جوسوت" منزعجا :

- أين المال ؟ أين الستة آلاف فرنك ؟

فرد السيد الغريب بإشارة من يده وقال :

- صبرا .. سنرد إليك مالك .. ليس كذلك يا "ترينارد" ؟

ثم تناول مبراته و مزق بها الخرق والقش وقال مازحا :

- إن شكلك يثير الضحك أيها الصعلوك . ولكن ليت شعري كيف

استطعت أن تعتمد إلى هذه الحيلة ؟ إنك موفور الذكاء متوقد الذهن أو

أنك على الأقل حسن الحظ .. لقد اغتنمت فرصة ضعف الرقابة في

الليلة الأولى فالقيت على نفسك أسمال الفزاعة .. فكرة رائعة والله .

أكان ممكنا أن يخطر لأحد أن السارق قد استحال تمثالا لإرهاب الطيورم ؟

إن العين تقع على هذا التمثال مئات المرات في اليوم فلن يخطر لأحد أن يطيل إليه النظر أو أن يفحصه . ولكن يا لك من مسكين . لاشك أن هذا الوضع ألك . طيلة شهر كامل وأنت منطرح على الغصن فوق بطنك وذراعاك وساقاك متدلّية مرخاة . وباله من وضع وباله من عذاب . . . ولشد ما كان يستولي عليك الفرع إذا ما حركت عفوا ذراعا أو ساقا . وليت شعري كيف يواتيك النوم وأنت على هذه الحال . ؟ وكان ينبغي أن تاكل . وتشرب أيضا وما كان حالك وأنت تشعر بالمراقبين على قيد خطوات منك وبنادقهم في أيديهم ولكن أعجب حيلة لجأت إليها هي أعواد القش بلانزاع . لقد انتزعت من القش الذي حشي به جسدك بضعة أعواد أدخلت أطرافها بعضها في بعض حتى طالت وامتدت وبلغت حوض الماء . . وبهذه الطريقة استطعت أن تغمس طرف العود في الحوض وتمتص الماء دون أن يشعر بك أو يرتاب في أمرك مخلوق . والله إنني لاشتهد أن أقبلك لفرط إعجابي بك . خدعة رائعة يا "ترينارد" .

- ولكن قد مضى شهر كامل وأنت لاتستحم ولاتغتسل . . إنك خنزير قدر . . لقد شربت واكلت وهضمت معدتك ما تناولت خذوه أيها السادة فإني ذاهب لأغسل يدي .

وانقض "جوسوت" وأبناؤه على الفريسة التي القيت إليهم وصرخوا فيه قائلين:

- أين المال الذي سرقت . . أعد إلينا الأوراق . .

وحاول الصعلوك وهو في إعيائه وضعفه أن يتظاهر بالدهش . فصاح فيه "جوسوت" :

- دع التظاهر بالبلهه فإنها لن تغني عنك شيئا . . هيا أبرز الأوراق المالية الستة .

فقال "ترينارد" في صوت متلعثم :

- ماذا . ؟ ماذا تريدون مني . ؟ .

- المال .

- أي مال . ؟ .

- الأوراق المالية .

- أية أوراق مالية . ؟ .

فصاح "جوسوت" :

- تبا لك . لقد بدأ صدري يضيق ..
و انقض انباؤه الأربعة على "ترينارد" وطرحوه أرضا ومزقوا ثيابه
ونزعوا عنه خرقة البالية وفتشوه .
لكنهم لم يجدوا شيئا .

وصاح "جوسوت" في حنق وغضب :

- أيها اللص .. أيها الشرير .. ماذا فعلت بها ؟

وبدا على "ترينارد" الاستغراب والدهش . وراح يقول :- ماذا تريدون
مني ؟ أي مال تبغون ؟ إني لا أحمل ولاسنتيما واحدا .
ولكن عينيه لبثتا تطيلان النظر إلى ثيابه المكومة على الأرض وكان
يلوح عليه أنه لم يفهم .

ولم يستطع "جوسوت" أن يكتّم غضبه . فانهال مع أولاده على
المسكين ضربا وركلا .. ولكن هذا العقاب لم يسفر عن أية نتيجة غير
أن "جوسوت" كان موقنا من أن "ترينارد" خبأ المال قبل أن يتقمص
تمثال الفزاعة .

- أين أخفيته أيها الشيطان ؟ في أي ركن من الحديقة خبأته ؟

فقال الصعلوك وأمارات الغباوة ظاهرة علي وجهه :

- المال ؟

- نعم المال .. الذي دفنته في مكان ما .. إذا لم نعثر عليه سلمناك
إلى البوليس ولدينا شهود على ما فعلت .. ستشهدون معنا أيها
الأصدقاء وكذلك ذلك السيد الذي كشف أمرك .

والتفت "جوسوت" إلى ناحية عين الماء حيث كان السيد الغريب قد
مضى ليغسل يديه وادهشه أنه لم ير السيد عند العين .
قال متسائلا :

- هل انصرف ؟

فاجاب أحد الحاضرين :

- كلا . لقد أشعل سيجارة ومضى يتريّض في الحديقة .

فقال "جوسوت" :

- حسنا .. إنه وحده هو الذي يستطيع أن يرشدنا إلى مخبأ
الأوراق المالية كما أرشدنا من قبل إلى مخبأ الرجل .

فقال أحد الحاضرين :

- إلا إذا ..

فقال "جوسوت" مرددا :

- إلا ماذا ؟ ماذا تريد أن تقول ؟ افصح عما في ذهنك إن كان في
ذهنك شيء . . . تكلم ماذا تريد أن تقول ؟
ولكنه أمسك فجأة وقد طاف بذهنه خاطر مباغت ملا نفسه شكاً
وأشاع الريبة في صدره . .

وطاف نفس الخاطر بأذهان جميع القرويين الحاضرين . .
الم يكن الأمر غريباً . . ؟ وصول هذا السيد إلى القرية ، وخلل
السيارة وأسلوبه في طرح الأسئلة على أصحاب الفندق ، وطريقته
التي توصل بها إلى دخول المزرعة . .

اليسست هذه الأساليب جميعاً أسلوب رجل من كبار المحتالين ، قرا
تفاصيل الحادث في الصحف ، فابتدع هذه الحيلة ليؤذن له بدخول
المزرعة حتى يجرب حظّه . . !
وأخيراً تكلم صاحب الفندق ، ونطق بما يجيش في صدور
الحاضرين :

- إنه والله رجل بارع الحيلة . . لاشك أنه أخذ الأوراق المالية من
جيب "ترينارد" تحت سمعنا وبصرنا وهو يفتشه دون أن نلفظ إلى
الأمر .

فصاح "جوسوت" :

- مستحيل . . وإلا لغادر هذه المزرعة من هذه الناحية . . من ناحية
البيت ، قبل أن تنتبه للأمر ونقبض عليه ، ولكنه سار في هذا الاتجاه
إنه الآن يفرّض في الحديقة . .
فقالت الام "جوسوت" تذكره :

- والباب الخلفي الصغير . . ؟

- مفتاحه معي لا يبرح جيبي .

- ولكنك أريته له ؟

- هذا صحيح . . غير أنني استعدته منه على الفور وها هو ذا معي
في جيبي . .

ودس يده في جيبيه ليخرج المفتاح .

ثم أطلق صرخة حادة :

- يا إلهي . . اختفى المفتاح . .

وانطلق يجري في الحديقة وفي أثره أبناؤه ونفر من القرويين . .

وما اجتازوا من الحديقة نصفها حتى بدا في اسماعهم دوي سيارة .
لاريب أنها سيارة ذلك السيد الغريب . الم يامر سائقه بان ينتظره
عند باب المزرعة ؟ .

وحين بلغ الرجال الباب طالعهم على الواحه الخشبية اسم مكتوب
بالطباشير بحروف كبيرة : وكان هذا الاسم هو : ارسين لوبين وتحت
الاسم بحروف صغيرة هذه الكلمات :

"إنك يا عزيزي 'جوسوت' شره بخيل وما فعلت في حياتك خيرا وما
اسديت إحسانا ولكن غدا سيصلك من إحدى الجمعيات الخيرية
خطاب شكر على مبلغ الستة آلاف فرنك التي تبرعت بها للجمعية
وسيلقبونك بالمحسن الكبير ..

والآن يمكنك أن تموت مطمئنا . فستدخل الجنة .

"ارسين لوبين"

وكان 'جوسوت' خليقاً بان يشفي غليله لو انه استطاع ان ينتقم من
'ترينارد' العجوز ولكن القرويين الذين حضروا الحادث شهدوا بان
تفتيش المتهم لم يسفر عن شيء إذ لم يعثروا معه على الأوراق المالية
فبراه القاضي من تهمة السرقة ولكنه حكم عليه بالسجن ثلاثة اشهر
لاعتدائه على الام 'جوسوت' .

وحين اطلق سراحه وجد في انتظاره بباب السجن رجلا لايعرفه
ودفع الرجل إلى يد 'ترينارد' بظرف فيه أوراق مالية قيمتها مائة فرنك
والمائة فرنك عند رجل كـ 'ترينارد' كنز عظيم .

وكان 'ترينارد' سعيدا .

وكان 'لوبين' سعيدا .

وكان رئيس الجمعية الخيرية سعيدا .

ولم يكن هناك من شقي محزون إلا 'جوسوت' وزوجته وابناؤهما
الأربعة ..

"خاتم الزواج"

قبلت "إيفون دوريني" ابنها الصغير وأوصته أن يحسن سلوكه وقالت له :

- أنت تعلم أن جدتك لا تحب الأولاد ، ولكنها أرسلت تدعوك إلى بيتها ، فيجب أن تثبت لها أنك غلام هادئ عاقل.

ثم التفتت إلى المربية وقالت لها :

- لا تنسي يا أنسة أن تعودي به بعد العشاء مباشرة . هل لا يزال

الكونت في البيت ؟

فاجابت المربية :

- نعم يا سيدتي . إنه في مكتبه .

* * *

وما إن أصبحت "إيفون دوريني" وحدها في الغرفة حتى نهضت إلى النافذة لتطل على ولدها وهو يغادر البيت .

وما هي إلا لحظة حتى خرج الغلام إلى الشارع وحول بصره نحو نافذتها . وأرسل إلى أمه قبله في الهواء كما اعتاد أن يفعل كل يوم . ثم تناولت المربية يده ، ودهشت "إيفون" حين لاحظت أن المربية فعلت ذلك بشيء كثير من الغلظة والخشونة .

وزادت "إيفون" انحناء من النافذة ، ورات أن الغلام ما كاد يصل إلى ركن الشارع حتى خرج رجل من إحدى السيارات ، وتناول ساعد الغلام وأدخله مع المربية في السيارة : وأمر السائق بالانطلاق .

وعرفت "إيفون" في ذلك الرجل "برنار" خادم زوجها الأمين .

ولم يستغرق كل هذا أكثر من عشر ثوان .

واستولى الفرع على "إيفون" وأسرعت إلى باب غرفتها .

ولكنها وجدته مغلقا .. والمفتاح ليس في قفله .

وفجأة تراءى لها زوجها بوجهه العابس الذي لا يبتسم أبدا .
وبعينييه القاسيتين اللتين طالما رمقناها بنظرات الكراهة والبغض

فقالَت لنفسِها :

- نعم . نعم هذا من تدبيره .. لقد اختطف ولدي ..

يا إلهي هذا مخيف !!

وراحت تدق الباب بقبضتها بعنف ثم دارت على عقبيها وأسـرعت إلى زر الجرس فضغطته بشدة . حتى خيل إليها أن رنينه لأبد قد وصل إلى أذان المارة في الطريق .. وسوف يأتي الخدم ورجال البوليس ..

ويمتلئ البيت بالناس . وشد هذا الأمل من عزمها ..

واستمر تضغط زر الجرس

وبعد قليل . تحرك مفتاح في قفل الباب وفتح الباب بقوة وعنف وظهر زوجها الكونت واقفاً بالباب وفي عينيه نظرة جعلت "إيفون" ترتجف هلعاً ..

وتقدم الكونت نحوها في خطوات بطيئة . وحاولت أن تتراجع أو حتى أن تصيح . ولكن خيل إليها أن قدميها قد غاصتا في الأرض . وأن صوتها قد احتبس في حلقها .

وفجأة هجم عليها الكونت وانشب أصابعه في عنقها وهو يقول بصوت خافت رهيب :

- لا تحدثي ضجة . ولا تصيحي .. من الخير لك أن تلتزمي الصمت . ولما رأى أنها لا تحاول الدفاع عن نفسها ..

أخرج من جيبه حبلاً كان قد أعده من قبل . وما هي إلا دقائق حتى كانت "إيفون دوريني" ممددة على مقعد طويل وقد شدت يداها وقدميها إلى جانبيها .

وكان الظلام قد بدأ يرخي سدوله . فاضاء الكونت النور الكهربائي وقصد إلى المكتب الذي تعودت زوجته أن تحفظ فيه أوراقها ورسائلها ولما عجز عن فتحه .

استخدم آلة حادة في تحطيم أدراجة .

وأفرغ الكونت محتويات الأدراج في سلة حملها وهو يقول :

- إنني أضيع وقتي عبثاً اليس كذلك ؟؟ ليس في الأدراج غير فواتير ورسائل لا أهمية لها . ولا أثر لأي دليل ضدك ؟ ولكنني أقسم أنني سأحتفظ بولدي . ولن أخليه بعد الآن أبداً ..

وعندما هم بمغادرة الغرفة . أقبل خادمه الأمين "برنار" . ووقف

الرجلان يتحدثان بصوت خافت قال "برنار" ::

- لقد جاءني رد من الجوهري يقول فيه إنه يضع نفسه تحت تصرفي فأجابه الكونت .

- لقد أرجانا الأمر إلى الساعة الثانية عشرة ظهرا غدا . وقد اتصلت بي والدتي منذ قليل . وقالت إنها لا تستطيع الحضور قبل هذا الموعد .

وانصرف الرجلان بعد أن أغلق الكونت الباب .

وسمعت "إيفون" وقع أقدامهما وهما يبتعدان .

وظلت المرأة المسكينة في مكانها مذهولة مضغضعة الحواس . ومرت بذهنها حوادث الماضي القريب والبعيد .

وتذكرت قسوة زوجها عليها وتحقيره لها .. وتهديده إياها بالطلاق فادركت أنها ضحية مؤامرة واسعة النطاق يدبرها زوجها . فالخدم قد منحوا إجازة يومين والمربية قد ذهبت بابنها بمساعدة "برنار" . إذن فهي لن ترى ولدها أبدا ..

وبرح بها الحزن والأسى .. وأولاهها حبها لولدها شيئا من القوة فحاولت أن تتخلص من وثاقها ولاحظت أن زوجها لم يوثق يدها اليمنى جيدا فتبلج لعينها الأمل . وأخذت تعالج عقدة الجبل . وقضت في ذلك وقتا طويلا . وأخيرا استطاعت أن تحل وثاق يديها . وشرعت تعمل لحل وثاق قدميها .

كانت تفعل ذلك وعقلها في شغل بالتفكير في ولدها .

و تخلصت من وثاقها أخيرا ونهضت عن المقعد عندما كانت الساعة تدق الثامنة .

وما إن استردت حركة يديها وقدميها حتى أسرعته إلى النافذة ففتحتها وفي نيتها أن تستنجد بأول عابر سبيل .

واتفق في هذه اللحظة أن أبصرت شرطيا يمشي ببطء على رصيف الشارع . فأنحنت فوق النافذة وهمت بالاستغاثة .

ولكن نسيم الليل البارد لفح جبهتها . ورد إليها بعض الهدوء والسكينة . وفكرت في الفضيحة والتحقيق ،

والإجراءات القضائية والقانونية . فامسكت ، وغمغمت تقول في أسى :

- يا إلهي . ماذا أفعل ؟

نعم . ماذا تفعل ؟ وكيف تستطيع الفرار دون أن تحدث ضجة او

فضيحة ؟ إن زوجها قد يأتي إلى غرفتها في أية لحظة . وقد يثيره أن يراها تخلصت من وثاقها . ومن يعلم أية جريمة يقدم عليها في ساعة غضبه وثورته .

ومرت بجسدها رعدة قوية . وتجسمت في خاطرها فكرة الموت . فصاحت بصوت مختنق !
- النجدة . المعونة .

ولكنها كفت عن الصياح فجأة .
وخطر لها خاطر . وتذكرت شيئاً أحيأ في نفسها موات الأمل فأسرعت إلى دولا ب الكتب . وفتحتة ..
وتناولت كتاباً راحت تتصفحه بسرعة . ولكنها لم تجد فيه بغيتها . فتناولت كتاباً آخر وثالثاً ورابعاً . وبينما تقلب صفحات الكتاب الخامس . إذ وجدت بطاقة فتناولتها في لهفة وقرأت فيها هذا الاسم :
"هوارس فيلمون"

النادي الملكي

وتذكرت على الفور العبارات الغريبة التي قالها صاحب هذا الاسم في هذا البيت بالذات منذ بضعة أعوام .
لقد قال لها :

- إذا حاق بك خطر . وشعرت بحاجتك إلى المعونة . فلا ترددي . بل ابعثي إلي بهذه البطاقة التي أضعها أمامك في هذا الكتاب . ابعثي بها إلي في أية ساعة من ساعات الليل أو النهار فأوافيك على الفور . وقد قال لها ذلك بلهجة تدل على قوة العزيمة والثقة بالنفس . والجرأة التي لا حد لها .

وعلى الفور . تناولت "إيفون" غلافا وضعت به البطاقة وكتبت عليه اسم "فيلمون" وعنوانه . وأسرعت إلى النافذة .
وكان الشرطي لا يزال يمشي على الرصيف جيئةً وذهاباً ولكن ترى هل يحمل الشرطي الرسالة إلى صاحبها ؟
تناولت ورقة كتبت عليها :

"أرجو من يجد هذه الرسالة أن يحملها إلى صاحبها فوراً وله مكافأة".

وارفقت الورقة بالرسالة بدبوس . وقذفت بها إلى الشارع ... وتركتها للأقدار ..

ولكنها ما كادت تفعل ذلك . حتى أحست بسخف ما فعلت .
كان من الجنون أن تأمل أن يأتي الرجل لنجدتها في مثل هذه
الساعة من الليل ..

وبعد .. كيف تضع آمالها في شخص لم تره منذ عدة أعوام . وربما
يكون قد نسيها تماما ونسي وعده لها ؟
والحت عليها هذه الخواطر وكان لها أثرها . فاستولى عليها
اليأس .

وتهالكت على مقعدها . وراحت تبكي ..
ومرت الساعات ببطء شديد . ساعات الشتاء البارد الهادئ الساكن
فالشوارع صامتة مقفرة لا يسمع فيها غير صوت المركبات والسيارات .
وسمعت "إيفون" صوت وقع أقدام في جهات متفرقة من البيت
فادركت أن زوجها تناول طعام العشاء وأنه ذهب إلى مكتبه .
ودقت الساعة الواحدة صباحا . ثم الثانية ثم الثالثة ..
وكانت طول الوقت تفكر في ولدها . وفيما سيكون من أمره .. وهل
سيقدر لها أن تراه مرة أخرى .

وفجأة سمعت حركة قفل الباب . فاجفلت ثم وثبتت من مكانها .
واجالت الطرف حولها كأنما تبحث عن شيء تدافع به عن نفسها ..
وفتح الباب . ونظرت "إيفون" إلى القادم وجمدت في مكانها كما لو
كانت قد رأت شيئا .
هتفت :

- أهذا أنت ؟ أهذا أنت ؟ ..

رات أمامها شابا أنيقا وسيما في ثياب السهرة وقد حمل قبعته في
يده وأحنى لها قامته باحترام شديد .

وعرفت فيه "هوارس فيلمون" . وغمغمت مرة أخرى :

- أهذا أنت ؟

فأجاب : معذرة يا سيدتي .. إنني لم أقسلم رسالتك إلا الآن .

- هل يمكن هذا ؟ هل يمكن أن تكون أنت ؟؟ هل يمكن أن تكون

استطعت ..

الم أعدك بأن البي دعوتك في أية ساعة من ساعات الليل أو النهار .

- نعم . ولكن ..

فقاطعها وهو يبتسم !

- وهانذا قد جئت تلبية لدعوتك . وأجال الطرف حوله في جوانب

الغرفة ورأى الحبل الذي شد به زوجها وثاقها فقال :

- إذن فتلک هي وسائله ؟؟ أعني وسائل الكونت "دوريني" ؟ وقد

لاحظت كذلك أنه قد أوصد باب غرفتك . ولكن الرسالة ؟؟ أه إنك قذفت

بها من النافذة . لماذا تركت النافذة مفتوحة ؟

ونھض إلى النافذة وأغلقها فصاحت به في نعر :

- هب أنهم شعروا بوجودك .

- لا يوجد أحد في البيت ..

- ومع ذلك ..

- لقد خرج زوجك منذ عشر دقائق ..

- إلى أين ذهب ؟

- إلى والدته .

- وكيف علمت ذلك ؟

- المسألة غاية في البساطة . إنني اتصلت به تليفونيا وأنباته أن

والدته مريضة جدا ثم كمننت في ركن الشارع . ورايته ينصرف على

عجل . ومعه خادمه فدخلت إلى البيت مستعينا بمفتاح خاص .

قال ذلك في بساطة . كمن يسرد شيئا لا أهمية له .

وذعرت "إيفون" وهتفت :

- إذن والدته ليست مريضة حقا ؟؟ في هذه الحالة قد يعود زوجي

فجأة في أية لحظة .

- لاشك أنه سيفطن للخدعة متى وصل إلى بيت والدته . ولكنه لن

يعود قبل نصف الساعة على الأقل يجب أن أبحث عن ولدي .

- إذن دعنا نذهب .. لا أريد أن يجدنني هنا ..

- صبرا لحظة ..

- وكيف اصبر . الا تعلم انهم اخذوا ولدي ؟

وحاولت النهوض . لكنه اجلسها في رفق . وقال لها في لهجة جادة:

- اصغي إلي يا سيدتي . إن الوقت ثمين . ويجب الا نضيع دقيقة واحدة . لعلك تذكرين اننا تقابلنا اربع مرات منذ ست سنوات . وفي المقابلة الاخيرة . كنت اتحدث إليك في قاعة الاستقبال في هذا المنزل ذاته ..

وكان في حديثي شيء من العاطفة . ولكنك افهمتني في لباقة ان وجودي في بيتك لم يعد امرا مرغوبا فيه .

ومنذ ذلك الوقت . لم يقع بصري عليك .. وبالرغم من ذلك فإنك ظلمت على ثقتك بي .. بدليل احتفاظك بهذه البطاقة حيث وضعتها منذ عدة اعوام وإنني اناشدك الآن ان تستمر ثقتك بي .. وان تطيعيني طاعة عمياء ..

وكما ذللت كل عقبة للوصول إليك . كذلك ساذل كل عقبة لإنقاذك . مهما يكن موقفك .

وكان يتكلم بصوت هادئ رقيق ينم عن العطف والحزم في وقت واحد . واحست "إيفون" في وجوده بشيء كثير من الطمأنينة . استطرد قائلا :

- لا تخشي شيئا يا سيدتي . إن زوجك لن يعود قبل نصف الساعة . واقسم لك ان اذهب بك من هنا في الساعة الثالثة تماما إلى حيث تجدين ولدك . ولكننا لن نذهب قبل ان أعرف كل شيء ..

- وماذا يجب ان افعل الآن ؟

- اجيبي عن اسئلتني في وضوح وصراحة .

- سل ما تريد .

- هل تعتقدين ان لزوجك الكونت اغراضا إجرامية ؟

- كلا ..

- إذن فالأمر يتعلق بولدك وحده !

- نعم .

- اعتقد انه أخذه .. لأنه يريد الطلاق منك كي يقترب بامرأة أخرى .
امرأة كانت يوما ما إحدى صديقاتك ولكنك طردتها من بيتك . اليس
كذلك ؟

أضرع إليك أن تجيبيني في صراحة ، هذه كلها حقائق معروفة ..
فلماذا تترددين في ذكر الحقائق وأنت تعلمين أن الأمر يتعلق بولدك !
إذن فزوجك يريد الاقترب ب تلك المرأة ! .
- نعم .

- وتلك المرأة لا تملك مالا .. وزوجك قد أضاع كل أملاكه وأمواله في
القمار . ولم يعد له من إيراد غير ما يأخذه من والدته . ومن الإيراد
الذي تدره الأملاك التي ورثها ابنك من أحد أعمامه .. وزوجك يطمع في
هذه الأملاك . ويرى أنه لا يستطيع التصرف فيها بحرية إلا إذا تركت
له وحده كفالة الطفل والوصاية عليه...

والوسيلة الوحيدة لذلك هي الطلاق منك .. فهل كل هذا صحيح ؟
- نعم .

- ولم يمنعه من الحصول على الطلاق حتى الآن إلا رفضك ؟
- نعم . رفضت . ورفضت والدته . لأنها متدينة وتعارض في
الطلاق إلا إذا ثبت أنني سلكت سلوكا شائنا .
فهذه "فيلمون" كتفيه وقال :

- إذن فهو لن يستطيع أن يصيبك أو يصيب ولدك بأذى . من
الناحية القانونية . أو ناحية مصالحه ..
إن أمامه عقبة لا يستطيع التغلب عليها ...
وتلك هي عفاف امرأة أمينة طاهرة . ليس في مقدوره أن يجد في
سلوكها مطعنا .

- ماذا تعني ؟

- أعني أن رجلا مثل الكونت . تردد كثيرا أمام العقبات التي

تعترض اهدافه . ثم تحرك فجأة للعمل . لابد ان يكون هناك ما يحفزه إلى ذلك . كان يكون قد حصل على سلاح من شأنه أن يساعده على تحقيق أغراضه .

- أي سلاح ؟

- لا أعلم . ولكن لابد انه وجد سلاحا .. وإلا لما شرع في إنفاذ خطته وبدأ باخذ ابنك .

- يا إلهي . كل هذا مخيف من يدري أية فكرة جهنمية خطرت له .

- فكري جيدا و حاولي أن تتذكري . هل كانت في هذه الأبراج التي حطمها بعض أوراق يمكن أن يتخذها سلاحا ضك ؟

- كلا .. لم يكن بها غير فواتير . ورسائل قديمة لا اهمية لها .

- ألم تفهمي من عبارات التهديد التي وجهها إليك ماذا ينوى أن يفعل ؟

- كلا ..

- ومع ذلك .. لابد أن في الأمر شيئا .. هل لزوجك صديق مخلص يثق فيه ويطمئن إليه ؟

- كلا .

- ألم يزره أحد امس ؟

- كلا .

- هل كان وحده حين شد وثاقتك واغلق باب غرفتك ؟

- نعم . إنه كان بمفرده . ثم لحق به خادمه 'برنار' وسمعتهما يتحدثان عن جواهري .

- هل هذا كل ما تحدثا عنه ؟

- تكلمنا كذلك عن شيء سيحدث غدا في الساعة الثانية عشرة ظهرا

لأن والدته لا تستطيع الحضور قبل هذا الموعد .

- هل فهمت لحديثهما معنى يلقي ضوءا على خطة زوجك !

- كلا .

- أين جواهرك ؟

- باعها زوجي .
- ألم يبق لك منها شيئا ؟
- كلا .
- حتى ولا خاتم ؟
- كلا .. سوى هذا الخاتم .
- إنه خاتم الزواج . اليس كذلك ؟
- نعم إنه خاتم الـ ..
- ولم تتم الكونتس عبارتها .
- ولاحظ "فيلمون" أن وجهها احمر فجأة .. وسمعها تغمغم :
- هل يمكن هذا ؟؟ ولكن لا .. إنه لا يعلم .
- ومازال "فيلمون" يلح عليها بالاسئلة حتى قالت :
- إن هذا الخاتم ليس خاتم زواجي .. لقد فقدت خاتم زواجي في مخدعي منذ عدة اشهر ... وصنعت هذا الخاتم بدلا منه . دون أن اذكر شيئا لأحد .
- والخاتم الذي فقدته .. هل كان تاريخ زواجك منقوشا عليه ؟
- نعم .. ٢٣ اكتوبر .
- وهذا الخاتم ؟
- ليس به تاريخ .
- ولاحظ اضطرابها وتردها . فقال لها :
- اضرع إليك الا تخفي عني شيئا .. هانت ترين اننا قطعنا شوطا كبيرا في بضع دقائق .
- هل من الضروري ان تعرف كل شيء ؟
- إن التفاصيل مهما تكن تافهة لا تخلو من اهمية .
- فقالت في كبرياء :
- ليس لدي ما اخفيه . إنني شقية في حياتي الزوجية كما تعلم .
- وقد حدث في أحد أيام بؤسي وشقائي ويأسي أنني تذكرت رجلا كان يحبني قبل زواجي .. وقد شعرت بحبه دون أن يبوح لي به . وقد توفي

هذا الرجل قبل أن أتزوج... فنقشت اسمه على هذا الخاتم على سبيل
التفاؤل عسى أن يجلب لي حظا أسعد .

لم أكن أحمل لهذا الرجل غير الذكرى الحزينة الطيبة ..
لقد مر بحياتي . كالحلم .

وكانت تتكلم في بطنه . وبغير خجل .. وأمن "فيلمون" على الفور
بانها لم تذكر غير الحقيقة ..
قالت بعد لحظة :

- هل تعتقد أن زوجي ..

ولم تتم عبارتها . وتناول "فيلمون" يدها .. وفحص الخاتم الذهبي
الذي في إصبعها . وقال :

- إن السر كله هنا . لأبد أن زوجك . قد علم بطريقة ما أن هذا ليس
خاتم زواجك . إنه هذا الخاتم . وبذلك يثير ريبه والدته في سلوكك .
ويحصل على موافقتها على الطلاق بالطرق القانونية ..

طالما يملك الدليل الذي يؤيد صلتك برجل آخر .
- يا إلهي . إذن قد ضعت .

- كلا . بل إنك نجوت . أعطيني هذا الخاتم .
وسارسل إليك خاتما آخر كالخاتم الذي ضاع .
ولكنها صاحت في زعر وهلع :

- قلت لك لقد ضعت . ألا ترى أن الخاتم قد ضاق على إصبعي
وليس في استطاعتي أن أنزعه ..

آه .. تذكرت الآن .. لقد خيل إلي منذ أيام أنني رأيت فيما يشبه
الحلم كان

إنسانا يعبث بالخاتم الذي في إصبعي ... لأبد أن زوجي دس لي
مخدرا في الطعام أو الشراب ولاشك أنه الجوهري الذي سينزع
الخاتم من إصبعي أمام والدته .. أواه يا إلهي ..

ودفنت وجهها بين كفيها . وراحت تبكي . وفجأة رفعت رأسها
وهتفت :

- ها هو قد عاد .. إنني اسمع وقع خطواته ..
هلم بنا نذهب .

- كلا ، يجب أن تبقي .

- وولدي ؟ أريد أن أراه ..

- إنك لا تعرفين مكانه . ومن الجنون أن تذهبي الآن . وسوف
يتساعل زوجك من الذي حل وثاقتك وساعدك على الفرار . وسيفهم أن لك
شريكا ..

وسيزعم أن هذا الشريك هو عشيقك .

وبذلك يزداد مركزك سوءا أمام والدته . إن الفرار الآن معناه الطلاق ..

- إنني خائفة . انزع هذا الخاتم من إصبعي ..
حطمه .

- إن نزعها أو تحطيمه يعني وجود شريك لك ..

كلا . ابقني حيث أنت وثقي بي ..

ومددها على المقعد . وشد وثاقها بالحبال ..
وقال لها هامسا :

- تذكرني ولدك ، ولا تخشي شيئا . إنني ساهر عليك .

وسمعت وقع خطواته وهو ينصرف ، ثم سمعت حركة مفتاح في
قفل الباب ..

وما هي إلا دقائق . حتى دخل زوجها مسرعا ، وشرر الغضب
يتطاير من عينيه ، فانحنى فوقها .. وتأكد أنها موثقة اليدين والقدمين
ثم نظر إلى يديها . وفحص الخاتم . وفي هذه اللحظة ، اغمي على
"إيفون" .

ولم تدر المرأة التعسة كم من الوقت ظلت في إغمائها ..

ولكنها عندما فتحت عينيه ، رأت الغرفة تسبح في أشعة الشمس ،

ووقع بصرها على زوجها وكان واقفا يتأملها في صمت فهتفت :

- ولدي . ولدي . أريد ولدي .

فاجابها بلهجة وقحة :

- إن ولدنا في مكان أمين . ولكن الأمر لا يختص به . وإنما يختص بك انت . إننا الآن وجها لوجه . وقد يكون ذلك آخر مرة . إن المناقشة بيننا ستكون جادة.

وستكون على مسمع من والدتي ..

فهل لديك مانع من ذلك ؟

فاجابت وهي تحاول إخفاء اضطرابها:

- كلا .

- هل ارسل في طلبها ؟

- نعم ، فقط دعني الآن لكي اتاهب لمقابلتها متى حضرت .

- إنها حضرت فعلا .

فصاحت في جزع وقد تذكرت وعد "هوارس فيلمون" :

- تقول إنها حضرت فعلا ؟

- وماذا يدهشك في ذلك ؟

- لاشيء . ولكن لماذا لاتدع الأمر إلى المساء ..

أو إلى الغد .

- كلا . لقد حدث حادث عجيب لم أعرف له تفسيراً .. ولكنه حفزني

إلى الإسراع . الا تريدان أن تتناولوا شيئاً من الطعام أولاً .

- كلا .

- إذن سادعو والدتي ..

وحل وثاق زوجته . وغادر الغرفة . ونظرت "إيفون" إلى الساعة

المثبتة بالجدار . وجدتها الحادية عشرة إلا عشرين دقيقة .

يا إلهي . وأين "فيلمون" . إنه وعد بان ينقذها ..

وعاد الكونت ووالدته . وكانت امرأة طويلة القامة نحيلة الوجه .

تنم نظراتها إلى "إيفون" عن الكراهة والبغض .

قالت الأم :

- لا اضن أن هناك ضرورة لإطالة هذا الموقف المؤلم ..

إن ولدي يزعم أن ..

فقاطعها الكونت :

- إنني لا أزعم شيئاً يا أماء . ولكني أقرر حقيقة .
لقد حدث منذ أشهر أن وجد خادمي "برنار" في أرض غرفة المخدع .
الخاتم الذي اعطيته لزوجتي بمناسبة زواجنا . ها هو ذا الخاتم .
وقد نقش عليه تاريخ ٢٣ أكتوبر .
فقالت الأم :

- إذن فاي خاتم في إصبع زوجتك ..
- إنه خاتم آخر استعاضت به عن الخاتم المفقود ..
وقد بحث خادمي "برنار" عن الجوهري الذي صنعه لها حتى عرفه .
وهذا الجوهري موجود الآن مع "برنار" في غرفة مكتبي .
ثم تحول إلى زوجته وقال لها :

- هل لك أن تعطيني الخاتم الذي في إصبعك طواعية واختياراً ؟
- لقد ضاق على إصبعي ولا أستطيع نزعها .
- في هذه الحالة يجب أن ادعو الجوهري لكسره . هل لديك مانع ؟
فاجابت بصوت خافت كأنه الحشرة :
- كلا .

واسقط في يدها . ورات بعين الخيال ماسوف يترتب على ذلك كله
من فضيحة ... وإجراءات قانونية ... وطلاق ... وانتزاع طفلها من
أحضانها ..

قالت لها حماتها :

- لقد كان من قصر النظر أن تفعلي ما فعلت يا "إيفون" !
وهمت المرأة المسكينة بأن تبوح لها بكل شيء ..
ولكنها عدلت عن ذلك . إذ ما الفائدة ؟
وعاد الكونت يتبعه الخادم والجوهري ، وكان هذا يحمل في يده
حقيبة صغيرة بها ادواته .

قال الكونت يحدث الجوهري :

- هل تعرف ماذا يجب أن تفعل ؟

- نعم . سأنزع هذا الخاتم الذي ضاق على إصبع الكونتيسة . إنها عملية بسيطة لا تتطلب أكثر من استخدام المقرض .

- وعليك أن ترى بعد ذلك هل الكتابة المنقوشة عليه . هي ذات الكتابة التي نقشتها بنفسك ..

وترنحت "إيفون" في مكانها ..

لقد عجز "فيلمون" عن إنقاذها .. وانتهى كل شيء ..

واغمضت عينيهما .. وأسلمت يدها إلى الجوهري الذي أعمل المقرض في الخاتم . وما هي إلا لحظة حتى نزعها من إصبعها .

وصاح الكونت صيحة الانتصار وهو يقول :

- وأخيرا . ها هو الدليل .. وجميعنا شهود عليه .

واختطف الخاتم من يد الجوهري ، ونظر إليه ، وأفلتت من فمه صيحة دهشة.

كان منقوشا في باطن الخاتم تاريخ زواجه من "إيفون" (٢٣ أكتوبر) .

كنت جالسا مع "أرسين لوبين" في كازينو مونت كارلو وهو يسرد علي هذه القصة العجيبة فسألته :

- وكيف كانت الخاتمة ؟

- أية خاتمة ؟ لقد نجت الكونتيسة . ولم يجد الكونت الدليل الذي

يريده . واقتنعت والدته ببراءة "إيفون" ، وأرغمت ابنها الكونت على

العدول عن طلب الطلاق وإعادة الابن إلى أمه !

- نعم . نعم .. ولكن كيف أنقذت الكونتيسة ؟

فضحك "لوبين" وأجاب :

- إنك تنشر على الناس مغامراتي ، وتريدني أن أضع النقاط فوق

الحروف دون أن تجهد ذهنك في التفكير قليلا . إن الكونتيسة نفسها

لم تسألني عن التفاصيل .

قال ذلك وأخرج من حافضته ورقة مالية ذات خمسة فرنكات ، و أطبق

يده عليها وسال .

- ماذا في يدي ؟

- ورقة مالية ذات خمسة فرنكات .
فبسط يده ، وإذا هي خالية . ولا شيء فيها .
قال :

- إن المسألة غاية في البساطة كما ترى ، وليس أيسر على
الجوهري من أن يستبدل خاتما بخاتم .
- إذن فقد كنت أنت الجوهري؟
فابتسم لوبين وأجاب :

- إنني بعد أن غادرت الكونتسية ، قصدت فورا إلى مكتب الكونت ،
وبعد بحث قصير ، وجدت الرسالة التي بعث بها الجوهري وقال فيها
إنه على استعداد للحضور ، وبرشوة بسيطة استطعت أن اقنع
الجوهري بأن يدعني أحل محله .. وتزودت قبل ذهابي بخاتم مكسور
منقوش عليه التاريخ .

الشملة الحريرية الحمراء

بينما كان كبير المفتشين "جانيمار" يغادر مسكنه ذات صباح في تلك الساعة المبكرة التي اعتاد الذهاب فيها إلى إدارة الأمن العام ، استرعى انتباهه ذلك المسلك العجيب الذي ياتيه شخص يسير أمامه في شارع برجوليس .. فقد كان الرجل ، وهو مخلوق رث الثياب يضع على رأسه قبعة من القش بينما اليوم أول ديسمبر ، يقف عند كل ثلاثين أو أربعين مترا وينحني ليوثق رباط حذائه ، أو يلتقط عصاه ، أو لغير ذلك من الأغراض اليسيرة .. ولكنه يخرج من جيبه في كل مرة قطعة صغيرة من قشر البرتقال فيضعها خلفه عند حافة الإفريز !. وكان من المحتمل أن تكون هذه ظاهرة من ظواهر الشذوذ العقلي ، أو عبثا صبيانيا لا يثير الانتباه ، غير أن المفتش "جانيمار" كان من أولئك الأفراد الذين يهتمون بكل ما تقع عليه أبصارهم ، ولا يقر قرارهم إلا إذا عرفوا الأشياء على حقيقتها واستشفوا أسرارها وخفاياها ، ولذلك عدل عن الذهاب إلى عمله ، وانصرف إلى تتبع الرجل والسير في أثره .

فلما بلغ الرجل نهاية شارع برجوليس واستدار في طريق جراند أرميه ، لمح "جانيمار" يتبادل إشارات خفية مع صبي في الثانية عشرة أو الثالثة عشرة من عمره ، كان يسير في الناحية اليسرى من الطريق ، وبعد قليل وقف الرجل ثم انحنى ليقبض ثنية سرواله فإذا بقطعة من قشر البرتقال تسقط على الأرض ، بينما وقف الغلام بدوره ليرسم بالطباشير صليبا داخل دائرة بيضاء على جدار المنزل المجاور له .. وبعد بضع خطوات تكرر الحادث فوقف الرجل ليلتقط عصاه ويترك مكانها قشرة بينما رسم الصبي نفس العلامة على الجدار .

فتنهـد "جانيمار" في ارتياح وغمغم :

- يا لله !. إنها فاتحة تبشر بالأمل .. ترى ما الذي يدبره هذان

- ولكن (الوعدين) استمرا في سيرهما فقطعا بهذه الطريقة شارع فريدلاند ثم فوبورج سانت أونوريه دون أن يحدث شيء يستحق الذكر سوى أنهما راحا يعيدان هذا العمل في فترات منتظمة وبطريقة شبه آلية . وكان من الواضح أن الرجل لا يقف ليلقي بقشرة البرتقال إلا بعد أن يلقي نظرة على المنزل الذي يراد وضع العلامة عليه ، كما أن الغلام لم يكن ليضع هذه العلامة إلا بعد أن يرى حركة زميله . ومن ذلك فهم المفتش "جانيمار" أن الاثنين يعملان على اتفاق بينهما ، فكان ذلك أمرا بالغ الأهمية في نظره .

وتردد الرجل قليلا عندما بلغ ميدان بوفو ، ولكنه بعد أن اعمل الفكر هنيهة راح يقلب ثنية سرواله ويعيدها مرتين .

بينما جلس الغلام على الإفريز ، إلى جوار الحارس الذي يقف أمام مبنى وزارة الداخلية ، ورسم على الحجر دائرتين بيضاوين داخلهما صليبان !. وتكررت نفس الظاهرة عندما استمرا في سيرهما إلى "الإليزية" مع ذلك الفارق الوحيد وهو أن العلامات التي رسمت على الإفريز أمام قصر رئيس الجمهورية ، كانت ثلاثا !

فاستبد الانفعال بـ "جانيمار" وراح يفكر رغما عنه في خصمه القديم اللدود، "أرسين لوبين" ذلك الذي يقفز اسمه إلى مخيلته كلما عرضت له ظروف غامضة لا يدرك لها كنها ..

وما لبث أن غمغم :

- لعنة الله عليهم جميعا .. ترى ما معنى هذا كله ؟

وكان بوده أن يطبق على الوعدين ويمسك بخناقهما ويسالهما عن سر ما يصنعان ، ولكنه كان من المهارة بحيث لا يرتكب هذه حماقة ، فظل يرقبهما من بعد .. ووقف الرجل ليشعل لفاقة ، فأسرع إليه الغلام وهو يضع عقبا بين شفتيه وكأنه ذاهب ليسأله أن يشعله له . وتبادلا بضع كلمات قليلة ..

وفي أسرع من لمح البصر أعطى الغلام رفيقه شيئا خيلا - "جانيمار"

انه مسدس صغير ، وانحنيا معا فوqe بينما راح الرجل ، وكان يقف ووجهه للجدار يضع يده في جيبه ست مرات ويأتي بحركة يفهم منها انه يحشو المسدس بالرصاص .

فلما اتم ذلك سارا معا بغتة إلى شارع سيرين .. وكان المفتش يتبعهما عن كثب باكثر ما يستطيع من الحرص حتى لا ينتبها إليه ، فراهما يجتازان باب منزل قديم كانت نوافذه جميعا موصدة ما عدا نوافذ الطابق الثالث . فاسرع وراءهما ووجد خلف الباب قناء واسعا في نهايته درج يؤدي إلى الأعلى . وإلى جانبه حانوت لأحد عمال الطلاء .

وارتقى الدرج ، ولكنه ما كاد يصل إلى الطابق الأول حتى هرع يصعده في وثبات سريعة إذ سمع من أعلى المنزل أصواتا تنم عن صراع رهيب حتى إذا ما بلغ الطابق الأخير وجد بابه مفتوحا فولج به بعد أن ارهف السمع هنيهة ، ثم اندفع إلى الحجرة التي كان الصوت ينبعث منها ، ولكنه ظل واقفا في الباب يلهث وقد تسمرت قدماه واتسعت حدقتاه دهشة وعجبا إذ رأى الرجل والغلام يمسان بمقعدين قديمين ويضربان الأرض بهما في شدة وعنف .

وفي نفس الوقت رأى رجلا ثالثا يخرج من حجرة مجاورة ، رجلا في نحو الثلاثين من عمره يتدلى من عارضيه شعر كثيف ، ويغطي فمه شارب غزير ، ويضع نظارة كبيرة ، وقد ارتدى سترة ذات بنية (ياقة) من الفراء ، يبدو فيها كأنه من الأجانب ، أو بالأحرى من الروسيين . وقال له الرجل وهو يبتسم : طاب يومك يا "جانيمار" !

ثم تحول إلى الآخرين قائلا : شكرا أيها الصديقان ، مع تهنئتي الحارة للنجاح الباهر الذي انتهت إليه مهمتكما .

وما هو الجعل الذي وعدتكما به .. وناولهما ورقة من ذات المائة فرنك ودفعهما خارجا وهو يغلق الأبواب خلفهما ، ثم عاد يقول :

- إنني أسف يا صديقي العزيز ، ولكني كنت في حاجة إلى التحدث إليك ، وفي حاجة شديدة إلى رؤيتك ومد إليه يده ، ولكنه رأى المفتش يقف مشدوها وعلى وجهه علامات الكمد والغيظ ، فاستطرد معتذرا :

- ألا تفهم غرضي ، مع انه شديد الوضوح ؟ لقد كنت في حاجة

لرؤيتك ، فما عسي أن أفعل ؟.. أوه . لا يا صديقي ، لو انني كتبت إليك
أو خاطبتك بالتليفون لما أتيت .. ولو أتيت لاحضرت معك فرقة كاملة
المعدات !.. بينما أردت أن أراك على انفراد ! وقد ظننت أن خير ما
أفعله هو أن أبعث هذين الصديقين للقائك فينثر أحدهما قشر البرتقال
ويرسم الآخر علامات على الجدران .. وبالإجمال امرتهما بأن يعترضا
طريقك ويثيرا انتباهك حتى تتبععهما إلى هذا المكان . ولكن ، ما الذي
يثير دهشتك وحيرتك إلى هذا الحد ؟ ربما كنت لا تذكرني ؟ "لوبين" .
"أرسين لوبين" . هيا استعد ذاكرتك أيها الصديق . ألا يذكرك هذا الاسم
بشيء ؟

فغمغم "جانيمار" : أيها اللص القذر !..
فانفجر "لوبين" مقهقهقا وقال في عطف :
- ترى هل أغضبتك ؟.. أجل . إنني أرى ذلك في عينيك .. فما كان
ينبغي أن احضرك إلى هنا ، بل أنتظر حتى تأتي بنفسك للقبض علي
إن الفكرة لم تواتني ، وأعدك أنني في المرة القادمة ..
فغمغم "جانيمار" ثانية : أيها الجرذ الحقيير !..
- أه ! أنا الذي ظننت أنني أعد لك مفاجأة سارة !..
لقد قلت لنفسي إنني لم أر "جانيمار" العزيز مدة طويلة ، وسوف
يتدفع نحوي فيعانقني عندما يراني !.

ولم يكن "جانيمار" قد تحرك من مكانه بعد ، ولكنه أفاق من نهبه ،
فنظر حواليه ، ثم نظر إلى ديل ، كأنه يسائل نفسه إذا لم يكن الأفضل
أن ينقض عليه فيكبله بالقيود بدلا من أن يعانقه . ولكنه كبج جماح
نفسه وتناول مقعدا وجلس في هدوء قائلا : تكلم ، ولا تضع وقتي
بشيء من سخافاتك المعهودة .. فإنني في عجلة ..

- تماما . وسوف نتحدث قليلا ، فإنك لم تجد في العالم مكانا أكثر
هدوءا من هذا .. وهو ، إن لم تكن تعلم ، من المنازل القديمة التي يرجع
عهدنا إلى العصور الوسطى ، ويملكه الآن الدوق "دي روشيلو" ، الذي
شاء كرمه أن يسمح لي بالإقامة في هذا الطابق . وهانت ترى أنني
أحتفظ بمساكن متعددة من هذا النوع ، وهي خطة حميدة مأمونة .
وأنا هنا رغم أنني أبدو كأحد نبلاء الروس ، فإنني معروف باسم

مسيو 'دوبريه' ، الوزير السابق . وماذا افعل ؟ . كان ينبغي أن اختار مهنة ضخمة كهذه حتى لا الفت الأنظار إلي .

- اتظنني ابالي بهذا الهراء ؟

- الحق معك .. فإنني اضيع الوقت وانت في عجلة من أمرك .
معذرة ، فلن أبقىك أكثر من خمس دقائق ، وسابداً حديثي للتو .. أتريد سيجارا ؟ لا ؟ .. ولا أنا ..

وجلس 'لوبين' إزاءه وراح يقرع الخوان باصابعه في تفكير ، ثم استطرذ :

- في اليوم السابع عشر من شهر اكتوبر سنة ١٥٩٩ ، وفي أحد أيام الخريف الدافئة المشمسة .. هل انت مصغ إلي ؟ .. ولكن .. لقد أهملت فكري ووجدت من العبث أن اعود بك إلى عهد هنري الرابع ، وأقص عليك تاريخ إنشاء الجسر الجديد (بون نيف) . فلست أظنك ملما بتاريخ فرنسا ، وسوف اسبب لك ارتباكاً شديداً ! ويكفي إذن أن أخبرك بأنه حدث في الليلة الماضية ، اعني في الساعة الواحدة صباحا ، أن كان أحد اصحاب القوارب يمر تحت ذلك الجسر الجديد بالقرب من الضفة اليسرى للنهر ، فسمع صوت سقوط شيء في مقدم اقارب . ولم يكن ثمة ريب في أن ذلك الشيء القوي به من فوق الجسر ليستقر في أعماق السين . وقبل أن يتبين صاحب القارب ذلك الشيء كان كلبه قد اندفع ناحيته وهو ينبج نباحا عاليا ، حتى إذا ما أدركه صاحبه وجده يمسك بلقافة من ورق الصحف وهو يمزقها باننيابه ، فأخذها منه بعد أن سقطت بعض محتوياتها في الماء ، وذهب إلى قمرته ليفحص في عناية بقية الأشياء التي انطوت عليها اللقافة ، فراعته نتيجة فحصه . ولما كان الرجل على علاقة وثيقة بأحد أصدقائي فقد أبلغني الخبر ، واستيقظت في الصباح الباكر لأسمع تفاصيل الموضوع ، وأرى هذه الأشياء التي التقطها من زورقه . وهاك هي ..

وأشار 'لوبين' إلى بضعة أشياء متناثرة فوق المائدة ، وهي عبارة عن قطعة ممزقة من ورق الصحف ، ومحبرة ثقيلة من الزجاج ثبت في غطاؤها حبل دقيق ، وكمية من شظايا الزجاج المحطم ، وصندوق من

الورق المقوى انبجعت اطرافه .. ثم اخيرا قطعة من الحرير الاحمر تنتهي بعقدة (شراية) من نفس النوع واللون .. واستطرد "لوبين" :

- ارايت هذا المعرض يا رفيق الصبا ؟ لا ريب ان المعضلة تكون اسهل حالا لو اننا وجدنا الاشياء الأخرى التي كانت في اللقافة وذهبت إلى قاع النهر بسبب حماقة الكلب . ولكن يخيل إلي اننا نستطيع رغم ذلك ان نستخلص شيئا من هذه الآثار الضئيلة ، بالقليل من التفكير والذكاء وهما من صفاتك العظيمة يا عزيزي "جانيمار" . فماذا ترى في ذلك كله ؟ ..

ولم تتحرك عضلة واحدة في وجه "جانيمار" . وكان يريد ان يضع حدا لهزر "ارسين لوبين" ، ولكن كبرياءه منعه من ان يفوه بكلمة واحدة ، او يومئ برأسه بما يدل على موافقته او استهجانه .. فمضى "لوبين" قائلا :

- ارى اننا متفقان في الرأي يا عزيزي ! . ويمكنني ان الخص الامر في إيجاز كما تدلنا عليه هذه الآثار .. ففي مساء الأمس ، بين التاسعة والعاشرة أصيبت امرأة شابة ترتدي ثيابا زاهية ، بطعنة سكين نجلاء ، ثم احيط بعنقها شيء فخنقت حتى لفظت أنفاسها .. وذلك بيد سيدانيق الملبس ، يضع عويونة واحدة (مونوكل) وهو من هواة السباق . وكانت تلك المرأة نفسها تاكل معه قبل ذلك نوعا من الفطائر المغطاة بالقشدة والشوكولاتة ..

واشعل "لوبين" لقافة ، ثم أمسك بذراع "جانيمار" قائلا :

- ألا ترى يا صديقي المفتش ؟ .. لقد كنت تظن ان مثل هذه الاستنتاجات لا يمكن ان يصل إليها أحد خارج دائرتكم الموقرة . وقد اخطأت يا سيدي فإن في استطاعة "لوبين" ان يبلغ شأوا بعيدا فيها كاهن الشرطة الذين نقرأ عنهم في القصص البوليسية . وإليك الدليل على صدق فراستي ..

وكان "لوبين" يشير إلى الأشياء المبعثرة فوق المائدة واحدا بعد

الأخر وهو يتحدث :

- لقد قلت إن ذلك كان بين الساعة التاسعة والعاشرة ، فهذه الصحيفة الممزقة تحمل تاريخ الأمس وإلى جانبه كلمتا (طبعة المساء) كما يمكنك أن ترى هذه القطعة الصغيرة الملصقة عليها وهي من المحازم الصفراء التي يكتب عليها أسماء المشتركين لترسل إليهم بالبريد. وقد جرت العادة بأن توزع هذه الأعداد في التاسعة من المساء وبذلك تكون الجريمة قد ارتكبت بعد ذلك . وقلت إنه رجل أنيق الملبس . ويضع عويئة واحدة ، وهو أمر يسهل عليك استنتاجه من قطع الزجاج المحطمة إذ ترى في إحداها ذلك الثقب الذي توضع فيه السلسلة الرفيعة التي تصل ما بين العويئة والسترة أو الصدرية .

ولا ريب أن العويئة من أسباب الأناقة في الملبس فلا يضعها إلا الأرستقراطيون .. وقد ذهب الرجل الأنيق إلى أحد محال بيع الحلوى ، فإن ذلك الصندوق من الورق المقوى لا يزال يحمل آثار الفطائر المغطاة بالقشدة وبعد أن ابتاعها مضى إلى لقاء امرأة شابة تستطيع أن تستشف شذوذها من ناحية الملبس من هذه الشملة (الكوفية) الحريرية الحمراء الزاهية .

فلما قابلها طعنها ، لسبب لا يزال مجهولا ، بسكين ثم أجهز عليها بأن خنقها بنفس شملتتها . ولو فحصت هذه القطعة الحريرية بمنظار المكبر أيها المفتش ، لرأيت بها بقعا حمراء داكنة هي آثار منسح الدماء العالقة بالسكين فيها ، وكذلك أثر قبضة ملوثة بالدماء أمسكت بالشملة في عنف ..

وبعد أن أتم القاتل جريمته كان شغله الشاغل ألا يترك أثرا ينم عليه ولذا أخرج من جيبه تلك الصحيفة المشترك فيها - وهي من صحف السباق كما يبدو من محتوياتها - ولن يكون من العسير أن تهتدي إلى اسمها - وذلك الحبل الصغير الذي تستطيع أن تدرك للتو أنه من ذلك النوع الذي تجدل منه السياط ، وهما ظاهرتان تدلانك على أن الرجل من هواة السباق إن لم يكن من الفرسان محترفي الركوب .

وبعد ذلك جمع بقايا عوينته المحطمة ، وأخذ مقصا فقطع به الجزء الملوث بالدماء من الشملة - وها هي آثار المقص واضحة في طرفها - تاركا بقيتها في يد القتيلة ، بلا ريب ..

ثم ثنى صندوق الورق المقوى ووضع كل ذلك في الصحيفة ، ومعها الأشياء الأخرى التي قد تفضح أمره ، كالسكين الذي استعمل في الجريمة وغير ذلك مما يستقر الآن في قاع السين ، وجعل من الجميع لفافة كبيرة ربطها بالحبل كما ربط به أيضا تلك المحبرة الزجاجية لتكون ثقلا يرسب باللفافة إلى أعماق النهر . وبذلك اطمأن إلى كل شيء ، وبعد قليل كانت اللفافة تسقط في القارب . وهانت ترى يا عزيزي "جانيمار" انها قضية مثيرة ، فماذا تقول في ذلك ؟

ونظرا إلى المفتش ليرى الأثر الذي تركه حديثه في نفسه ، ولكن "جانيمار" لم يخرج عن صمته وسكونه ..

فبدأ "لوبين" يضحك ، وقال :

- إنك تبدو فريسة للغضب والدهشة معا يا صديقي ، ولكنك في نفس الوقت ترتاب في الأمر وتقول لنفسك : "لماذا يسلمني هذا المجنون "لوبين" تلك القضية بدلا من أن يحتفظ بها لنفسه ويذهب في أثر القاتل فيجرده من الغنيمة التي فاز بها لو كان الغرض من الجريمة هو السرقة؟.. والواقع أنه سؤال منطقي ، ولكنني لست في فسحة من الوقت . فانا مرهق بالعمل في الوقت الحاضر إذ لدي حادث سطو في لندن ، وآخر في لوزان . وجريمة استبدال أطفال في مرسيليا .. فضلا عن أنه ينبغي لي أن أنقذ فتاة مسكينة يتعقبها الموت حثيثا ..

وهكذا ترى أن أول الغيث قطر ثم ينهمر ! وقد قلت لنفسني :

"هب أنني عهدت بهذه القضية إلى صديقي القديم "جانيمار" ، بعد أن اكشف له عن خبيثتها ، فإنه كفيل بأن يمضي فيها بنجاح حتى النهاية . وبذلك يستطيع أن يفخر على زملائه بهذا الفوز العظيم .."

وقد أسرعت بتنفيذ هذه الفكرة فبعثت إليك في الساعة الثامنة بذلك الرجل ليلقي بقشرة البرتقال في طريقك ، وصح حدسي ، فابتلعت

الطعم في يسر وكنت هنا في الساعة التاسعة ..
ونفض "لوبين" عن مقعده فانحنى امام "جانيمار" ثم واجهه بنظراته
النفاذة وهو يستطرد قائلا :

- هذا كل شيء يا صديقي ، وانت الآن تعرف القصة بأكملها . ولم
يبق إلا ان تعرف الضحية فهي إما راقصة أو مغنية في احد الملاهي
الليلية ، ومن جهة أخرى يبدو أن القاتل يقطن مكانا ما بالقرب من
الجسر الجديد ، والأرجح انه عند الضفة اليسرى للنهر . وأخيرا فإن
أمامك أدلة الجريمة وأثارها ، تستطيع أن تأخذها ، إذا شئت ، هدية
مني . فإلى العمل الآن .. ولكنني سأحتفظ بهذه القطعة من الشملة
الحريرية حتى إذا ما احتجت يوما إلى مطابقة جزء بها فعليك أن
تحضر إلى هنا الجزء الآخر الذي سيجده البوليس في يد القتيلة أو
حول عنقها . أحضره إلي بعد أربعة اسابيع ، أي في اليوم التاسع
والعشرين من ديسمبر ، في الساعة العاشرة من الصباح ، ويمكنك أن
تتق بانك ملاقيني في هذا الموعد ..

ولا تخش شيئا . فإن الأمر جاد يا رفيق صباي ، وأقسم لك على ذلك
... فليس فيه خدعة أو مزحة ويمكنك أن تمضي فيه قدما . أوه إنني
بهذه المناسبة أنصح لك أن تكون على حذر شديد عندما تقبض على
صاحبنا ذي العويونة الزجاجية ، فإنه شديد المراس ، كما أنه أعسر
يستخدم يده اليسرى . والآن . وداعا يا صديقي ، وأتمنى لك حظا
سعيدا ..

ودار "لوبين" على عقبيه واتجه إلى الباب ففتحه واختفى وراءه قبل
أن يفيق "جانيمار" من دهشته . ولكنه ما لبث أن اندفع خلفه ، وعندئذ
وجد أن مقبض الباب يابى أن يدور في يده ، بلعبة آلية لم يفهم كنهها
واستغرق منه نزع القفل عشر دقائق كما لبث عسرا أخرى في نزع قفل
الباب الخارجي ..

فلما هبط الدرج بعد ذلك كان قد تخلّى عن كل أمل في المحاق بـ
"لوبيين".

والواقع أنه لم يفكر في ذلك ، فإن "لوبيين" كان يوحى إليه بشعور
عجيب ، هو خليط من الرهبة والحقد ، والإعجاب الخفي .. كما أوجت
إليه غريزته أنه على الرغم من جهوده المضنية ، وإصراره على
الاستمرار في هذا النضال ، فلن تتاح له قط فرصة التغلب على هذ
الخصم العنيد . ولم يكن يطارده إلا بدافع من الواجب والكبرياء ، وهو
في خشية دائمة من أن يقهره ذلك الثعلب الماكر ويسخر منه ويجعله
موضع هزة الجماهير التي تتوق إلى الضحك من هزيمة كبير
المفتش..

وكانت قضية الشملة الحمراء تبدو له مربية . وعلى الرغم من أنها
تلوح رائعة في أكثر من ناحية واحدة ، فإنها مع ذلك بعيدة الاحتمال
كما أن نظرية "لوبيين" في وصف الجريمة وهي نظرية ، منطقية
سليمة ، لن تلبث أن تنهار من أساسها إذا عرضها المرء لاختبار
دقيق..

فلما بلغ "جانيمار" إدارة البوليس في شارع أورفيفر ، كان قد اعتزم
أن يعتبر ذلك الحادث الذي مر به كان لم يكن .

ونهب إلى إدارة المباحث الجنائية ، وهناك سأل أحد زملائه :

- هل رأيت الرئيس ؟

- كلا .

- لقد كان يسأل عنك الآن ..

- آه ! هل سأل عني حقا ؟

- أجل ، ويحسن أن تلحق به ..

- أين ؟ ..

- في شارع برن . فقد حدثت هناك جريمة قتل في الليلة الماضية ..

- اوه ا. ومن المجني عليه ؟

- لست اعرف تماما . ولكن يبدو انها مغنية في ملهى ليلي ..

فلم يفه "جانيمار" إلا بكلمة واحدة :

- يا إلهي !

وبعد عشرين دقيقة كان امام منزل الجريمة ..

وكانت الضحية وهي معروفة في الأوساط الفنية باسمها المسرحي (جيني سافير) تقطن في مسكن صغير في الطابق الثاني من أحد منازل شارع برين.. فصعد "جانيمار" مع أحد رجال الشرطة ومضى إلى حجرة نوم صغيرة كان المحققون مجتمعين فيها ومعهم الطبيب المحلي ومسيو "ديدوي" مدير البوليس ..

واجفل "جانيمار" إذ وقعت عيناه على الحجرة لأول وهلة ، فقد رأى فوق إحدى الأرائك جثة امرأة شابة تضم يديها في عنف على قطعة من الحرير الأحمر !. كما كان في إحدى كتفيها جرحان كبيران تحيط بهما الدماء المتجمدة بينما ارتسمت على وجهها الأزرق الداكن علامات الفرع الشديد وكان الطبيب قد فرغ لتوه من فحص الجثة فقال :

- لقد أسفر هذا الفحص التمهيدي عن نتائج واضحة جلية ، فقد طعنت الضحية بخنجر مرتين ثم خنقت بعد ذلك ، إذ إن السبب المباشر للموت هو الاختناق .

فغغم "جانيمار" ثانية : يا إلهي ! .

وهو يذكر كلمات "لوبين" والصورة التي رسمها للجريمة .

واعترض المحقق قائلا:

- ولكن العنق لا يحمل أي اثر يدل على الخنق ؟.

فاجاب الطبيب :

- يحتمل انها خنقت بمنشفة او منديل او نحو ذلك .

فقال مدير البوليس :

- الأرجح انها خنقت بهذه الشملة الحريرية التي كانت المجني عليها

تلفها حول عنقها ، والتي بقيت قطعة منها كأنها تعلقت بها بكلتا يديها وهي تدافع عن نفسها .

فقال قاضي التحقيق :

— ولكن لماذا بقيت هذه القطعة فقط ؟. واين ذهبت بقية الشملة ؟

— لا ريب أنها كانت ملوثة بالدماء ، فأخذها القاتل معه ، إذ يمكن أن ترى آثار المقص وقد أعمل فيها في عجلة .

فغمغم "جانيمار" مرة ثالثة . يا إلهي !.. لقد رأى "لوبيش" الوغد كل شيء دون أن يرى شيئا .

بينما كان قاضي التحقيق يقول :

— وماذا بشأن الدافع للجريمة يا مسيو "ديدوي" . اظن أنه شديد الوضوح فإن الدوايب جميعا محطمة والأدراج مقلوبة . ولكن ما الذي كان يبحث عنه القاتل ؟

فاجاب مدير البوليس :

— إنني أستطيع أن افترض شيئا واحدا استنتجته من أقوال الخادمة فإن القتيلة كانت تستمتع بشهرة ذائعة بسبب جمالها لابسبب براعتها في الغناء ، وقد ذهبت إلى روسيا منذ عامين وأحضرت معها ياقوتة زرقاء نفيسة يبدو أنها أهديت إليها من أحد عظماء رجال البلاط الروسي . ومنذ ذلك الحين كانت شديدة الزهو بهذه الياقوتة رغم أنها لم تكن تتحلى بها قط بدافع من الحرص والحذر . ولذلك يبدو لي أننا لانبعد كثيرا عن الحقيقة إذا افترضنا أن هذه الياقوتة الزرقاء هي سبب الجريمة .

— وهل تعرف الخادمة المكان الذي كانت سيدهتها تضع فيه الجوهرة ؟.

— كلا .. لم يكن أحد يعرفه . كما أن هذه الفوضى الضاربة أطنابها في الحجرة تدل على أن القاتل بدوره لم يكن يعرف ذلك المكان .

— سوف نسال الخادمة عما تعلمه .

ولمح المسيو "ديدوي" "جانيمار" في ركن الحجرة فخف إليه قائلا :

إنك تبدو شديد الضيق يا "جانيمار". فماذا هناك ؟ ..

هل ترتاب في شيء ما ؟

- كلا .. لاشيء يا سيدي الرئيس .

- واسفاه !. سوف يكون امامنا حساب عسير في الإدارة . فإن هذه إحدى تلك الجرائم التي فشلنا في اكتشاف مرتكبها . ولكننا نريد القاتل هذه المرة سريعا ! - إنه عمل شاق أيها الرئيس .

- ولكن ينبغي أن نقوم به . اصغ إلي يا "جانيمار" ، فقد علمنا من المعلومات التي ذكرتها الخادمة أن "جيني سافير" كانت تحيا حياة مستقيمة لا غبار عليها . ولكنها منذ شهر اعتادت أن تستقبل كثيرا بعد عودتها من الملهى الذي تعمل فيه ، أعني في منتصف الساعة الحادية عشرة مساء ، رجلا يبقى معها إلى منتصف الليل . وقد قالت الخادمة عنه إنه رجل أنيق الثياب وأن سيدتها أخبرتها أنه يريد أن يتزوج منها . ولكن هذا الرجل كان حريصا أشد الحرص على الإيراه أحد ، فكان يرفع ياقة معطفه ويرخي طرف قبعته على عينيه عندما يمر بحجرة البواب ، كما اعتادت "جيني سافير" أن تصرف خادماتها حتى قبل حضوره . وهذا هو الرجل الذي يجب أن نعثر عليه ..

- ألم يترك أثرا ما ؟

- مطلقا ولا ريب أننا نواجه مجرما عريقا في الإجرام ، أعد جريمته في إتقان وارتكبها وهو موقن بأنه لن يتحمل تبعتها ، وسوف يكون القبض عليه فخرا لنا جميعا ، وإني معتمد عليك في ذلك يا عزيزي "جانيمار" .

- هل تعتمد علي أيها الرئيس ؟ حسنا سوف نرى .. سوف نرى .

سوف نرى . ولكنني ..

وكان شديد الانفعال حتى دهش المسيو "ديدوي" ونظر إليه متسائلا ،

بينما استطرد المفتش :

- ولكني ، ولكني أقسم . هل تسمعني أيها الرئيس ؟

إنني أقسم ..

- ما هذا يا عزيزي ؟

- لا شيء . سوف نرى يا سيدي . سوف نرى ..

ولم يتم "جانيمار" عبارته إلا بعد أن غادر المكان بمفرده استطرده مغمما وهو يقرع الدرج بقدمه في عنف :

- ولكنني أقسم بأن أقبض على الجاني بوسائلتي الخاصة فقط ، دون أن أستعين بشيء من الأدلة التي زودني بها ذلك الوغد .

وثارت أعصابه ضد "لوبيين" ، كما اشتد هياجه واضطرابه لهذه القضية التي كان عليه أن يصل إلى أعماقها الغامضة بمفرده ، فراح يسير في الطرقات على غير هدى وهو يجهد عقله في تركيز أفكاره قليلا لعله يكتشف بين الحقائق الغامضة دليلا خفي عن الجميع ، ولم يحدثه "لوبيين" عنه ، يستطيع أن يهتدي به ، ويقوده إلى النجاح .

وتناول غداءه في أحد المشارب ، ثم استأنف جولته ، وإذا به يقف بغتة ذاهلا ، مشدوها ، وقد استبد به الانفعال و الضيق ، فقد وجد نفسه في شارع سيرين أمام المنزل ذاته الذي جذبته إليه "لوبيين" منذ ساعات قليلة ، وقد ساقته إليه مرة أخرى قوة أشد من إرداته . فقد كان حل اللغز يقبع هناك وهناك فقط توجد عناصر الحقيقة ، ومهما يقل أو يفعل فإن استنتاجات "لوبيين" كانت من الدقة والوضوح بحيث لم يعد ثمة مناص من أن يتغلب على كبريائه ، على الرغم من ضيقه لهذه الظاهرة العجيبة الخارقة من مظاهر بعد النظر والبصيرة ، وأن يتناول القضية من حيث تركها خصمه .

وتخاذل "جانيمار" ، وتلاشت مقاومته ، فراح يصعد طوابق المنزل الثالثة ، وكان باب المسكن مفتوحا ، والأدلة لاتزال مكانها فوق المائدة : لم يقربها أحد ، فتناولها ووضعها في جيبه وانصرف .

ومنذ تلك اللحظة راح يغمل بطريقة آلية وهو مسوق بسيطرة ذلك السيد الذي لا يملك إلا أن يطيعه .

ولما كان المعتقد أن القاتل المجهول الذي يبحث عنه يقيم في مكان بالقرب من الجسر الجديد فإن من الضروري أن يبحث عن أحد المحال الكبرى لبيع الفطائر بين الجسر وشارع برن ، من المحال التي تفتح في

اثناء الليل ، ولم يستغرق ذلك وقتا طويلا ، فسرعان ما كان صاحب متجر كبير بالقرب من محطة سان لازار يريه نوعا من صنابيق الورق المقوى مماثلا في الشكل والصنف لذلك الذي يقتنيه "جانيمار" ، كما ان إحدى فتيات المتجر ذكرت انها باعت في الليلة الماضية بعض الفطائر إلى سيد كان وجهه يكاد يختفي بين ياقة معطفه وطرف قبعته ، غير انها استطاعت ان ترى العويينة التي يضعها .

فقال المفتش لنفسه : ها قد صحت فراسة ذلك الوغد في احد الأدلة مرة أخرى . فالرجل يضع عويينة حقا ..

ثم راح يفحص قطع الصحيفة الممزقة ، وأراها لبعض باعة الصحف الذين أمكنهم أن يعرفوا في سهولة انها (التيرف المصور) . وسرعان ما خف "جانيمار" إلى إدارة الصحيفة واطلع على قائمة المشتركين واثبت في مفكرته اسماء اولئك الذين يقيمون بالقرب من الجسر الجديد وعلى الأخص الذين يقطنون منهم على ضفة النهر اليسرى .. ألم يقل "لوين" ذلك؟

وما لبث أن عاد إلى إدارة المباحث الجنائية فانتهقى ستة من رجالها الأكفاء وزودهم بتعليماته . ولم تحن الساعة السابعة حتى كان احدهم يعود إليه بانباء طيبة . فإن رجلا يدعى مسيو "بريفال" ، وهو من مشتركي "التيرف المصور" ويقطن مسكنا صغيرا بالطابق الأسفل من احد منازل شارع أوجستين ، خرج في الليلة الماضية مرتديا معطفا من الفراء ، وتناول بريده ومن بينه عدد الصحيفة من امرأة البواب ولم يعد إلا بعد أن انتصف الليل بوقت طويل . وكان المسيو "بريفال" هذا يضع عويينة . وهو من هواة السباق ، بل إنه يقتني بعض الخيول التي يمتطيها بنفسه او يؤجرها للغير .

وكان الوقت الذي استغرقه هذا البحث من القصر ، والنتائج التي أمكن الوصول إليها من الدقة والموافقة لتنبؤات "ارسين لوين" بحيث شعر "جانيمار" بالقهر والكمد وهو يستمع إلى تقرير الشرطي وعاد يفكر من جديد في تلك القوى العجيبة واسعة النطاق التي يتحكم فيها

"لوبيّن" ، فهو لم يصادف طول حياته - و"جانيمار" متقدم في السن حقا - مثل هذه البصيرة النفاذة الخارقة أو تلك الدقة وبعد النظر .

ونذهب إلى مقابلة مسيو "ديدوي" ، فقال له :

- لقد أعد كل شيء أيها الرئيس فهل لديك أمر اعتقال ؟

- ها ؟ .. ماذا تقول ؟

- أقول إن كل شيء قد أعد للقبض على الجاني .

- هل تعرف اسم قاتل "جيني سافير" ؟

- نعم ..

- ولكن كيف ؟ .. ألا توضح لي الأمر ؟

فتردد "جانيمار" وهو يشعر بوخز ضميره ، وتورد وجهه قليلا ، ولكنه ما لبث أن قال :

- إنها مجرد مصادفة أيها الرئيس ، فقد القى القاتل كل ما يمكن أن ينم عليه ، في السين . ولكن بعض هذه الأشياء أمكن التقاطها وسلمت إلي ..

- ومن الذي أحضرها لك ؟

- إنه ملاح رفض أن يذكر اسمه خوفا من أن يجر ذلك عليه متاعب هو في غنى عنها . ولكنني وجدت كل الأدلة التي تعوزني ، ولم يكن الأمر من الصعوبة كما توقعت .

ثم وصف المفتش كيف سار في تحقيقه والنتائج التي استخلصها من الأدلة التي عثر عليها . فصاح مسيو "ديدوي" :

- اتسمي هذا مجرد مصادفة ؟ . ثم تقول إنه كان عملا يسيرا ؟
لعمري إنها إحدى أعاجيبك الباهرة الموفقة . فهيا يا صديقي وامض في القضية بنفesk إلى النهاية . وكن على حذر ..

والواقع أن "جانيمار" كان في لهفة إلى إنهاء هذه القضية ، فصحب ثلة من رجاله وخف إلى شارع أوجستين حيث أقامهم في أماكن متفرقة حول المنزل .. وسال حارسة الباب عن ذلك المدعو "بريفال" فعلم منها أنه يتناول طعامه في الخارج ولكنه يعود بعد العشاء ليمضي برهة في المنزل قبل أن يخرج ثانية .

وما كادت الساعة تشرف على التاسعة حتى أومات الحارسة إلى

"جانيمار" - وكانت ترقب الطريق من نافذتها - فارسل إلى رجاله صغيرا خافتا ، بينما كان رجل ، يلبس قبة عالية ومعطفا من الفراء ، يسير حذاء النهر على الإفريز المقابل ثم ينحرف إلى الطريق ويتجه نحو المنزل .

ويقوم إليه "جانيمار" قائلا :

- مسيو "بريفال" .. فيما اظن ؟

- نعم .. ولكن من أنت ؟

- إن لدي مهمة لك .

ولكن قبل أن يتم عبارته لمح "بريفال" اشباح الرجال الذين يتقدمون نحوه ليحيطوا به .. وسرعان ما تراجع نحو الجدار واسند ظهره إلى باب حانوت مغلق في الطابق الأسفل وهو يواجه مهاجميه صائحا :

- مكانكم . إنني لا اعرفكم ..

وكان يهز بيده اليمنى هراوة ثقيلة ، بينما راحت اليسرى تنسلل خلف ظهره كأنه يحاول أن يفتح باب الحانوت .

وخيل إلى "جانيمار" أن الرجل يحاول الفرار من ذلك الطريق ويتسرب منه إلى منفذ سري لا يعلمه فتقدم نحوه قائلا :

- دعك من هذه المهاترة ، فقد وقعت في الفخ . والأفضل أن تسلم نفسك في هدوء .

ولكنه ما كاد يمسك بهراوة "بريفال" حتى ذكر فجأة تحذير "لوبيين" إذ قال له إن الرجل أعسر وأدرك أنه يمد يده اليسرى خلف ظهره ليخرج مسدسه ...

وخفض المفتش رأسه في الحال إذ رأى الحركة الفجائية التي أتاها الرجل وعندئذ دوى طلقان ناريان ، ولكنهما لم يصيبا أحدا .

وفي اللحظة التالية تلقى "بريفال" لكمة عنيفة تحت ذقنه بمؤخر مسدس فهوى إلى الأرض في مكانه بلا حراك ..

وبعد التاسعة بقليل كان قد أودع السجن ..

وكان "جانيمار" يستمتع بسمعة عظيمة حتى في ذلك الحين . وفي اللحظة التالية تلقى "بريفال" لكمة عنيفة تحت ذقنه بمؤخر مسدس فهوى إلى الأرض في مكانه بلا حراك ..

وقد أذاعه البوليس على الجمهور فورا ، اكسبه فجأة شهرة ذائعة .

واسندت إلى "بريفال" جميع جرائم القتل التي ظل مرتكبوها مجهولين إلى تلك اللحظة . بينما كانت الصحف تتنافس في تمجيد "جانيمار" والإشادة ببسالته ..

وسرعان ما نشط التحقيق في هذه القضية ، فتبين بادئ ذي بدء أن "بريفال" مجرم عريق اسمه الحقيقي "توماس دبوك" ، كما أن تفتيش مسكنه ، وإن لم يسفر عن أدلة جديدة في القضية ، إلا أن المحققين عثروا فيه على لفة من حبال السياط من نوع مماثل للحبل الذي استعمل في حزم اللقافة ، كما عثروا على عدة خناجر تنطبق على الجروح التي وجدت في القتيلة ..

ولكن حدث في اليوم الثامن أن تغير كل شيء .. فقد ظل "بريفال" حتى ذلك اليوم يرفض الإجابة عن الأسئلة التي توجه إليه . ولكنه يومئذ استعان بمحام ، ودفع بأنه يملك دليل نفي قوي وأنه كان في مساء ليلة الجريمة في ملهى الفولي برجير . والواقع أنه بالبحث في جيوب ثوب السهرة الخاص به ، وجدت به تذكرة دخول الملهى لتلك الليلة ومعها برنامج الحفلة . فاعترض قاضي التحقيق بأن المتهم أعد هذا الدليل من قبل . فلم يزد هذا على أن يقول :

- هل تستطيع أن تثبت ذلك ؟

وعرض المتهم على الشهود .. فقالت عاملة محل الفطائر إنها (تظن) أنه نفس الرجل ذي العويبة الذي اشترى منها في تلك الليلة . كما قال حارس الباب في منزل القتيلة إنه (يظنه) نفس السيد الذي كان يتردد على "جيني سافير" ..

ولكن احدا من الشهود لم يجزؤ على أن يقرر شيئا جازما حاسما . وبذلك لم يؤد التحقيق إلى نتيجة يمكن الركون إليها كما لم يجد المحققون دعائم قوية يقوم عليها الاتهام .

وبعث قاضي التحقيق في طلب "جانيمار" ، واطلعه على حرج مركزه قائلا - إنني لا أستطيع أن امضي في القضية على هذا النحو ، فليس

هناك دليل واحد حاسم يستند عليه الاتهام ..

- ولكن من المؤكد يا سيدي القاضي انك في قرارة نفسك ، مقتنع
تمام الاقتناع بصحة الاتهام . ولولا ان "بريغال" يشعر بجرمه لما قاوم
عند القبض عليه .

- إنه يدفع ذلك بأنه ظنكم لصوصا تهمون بإيذائه . كما يصر على
انه لم ير "جيني سافير" قط والواقع اننا لم نجد احدا يستطيع ان
ينقض هذا الادعاء .. فإذا اضعفنا إلى ذلك اننا لم نعثر على الياقوتة
الزرقاء المقول بسرقتها ، في مسكنه لرأيت أن الاتهام يوشك ان ينهار .
- ولكنها لم توجد كذلك في مسكن القتيلة .

- تماما .. غير أن ذلك لايقوم دليلا ضده . وكل ما نحتاج إليه يا
مسيو "جانيمار" ، ويجب أن نحصل عليه سريعا إنما هو ذلك الجزء
الأخر من الشملة الحريرية .

- الجزء الآخر ؟

- نعم . فإن من الجلي أن القاتل أخذه معه إذ كانت بصمات أصابعه
الملوثة بالدماء قد انطبعت عليه .

فلم يجب "جانيمار" . وكان قد أمضى أياما عديدة وهو يحس بأن
القضية تسير في هذا الاتجاه ، إذ لم يكن هناك دليل حاسم غير هذا
الجزء الباقي من الشملة الحمراء ، وهو وحده الكفيل بإثبات التهمة
على "بريغال" .

ثم إنه مسؤول عن القبض على الرجل ، وبسببه كل رأسه باغصان
المجد والفخار ، وأطرته الصحف والجماهير حتى رفعته إلى عنان
السماء ولقبته بعدو المجرمين الجبار . فلو أطلق سراح "بريغال" بعد
ذلك لغدا موضع السخرية والهزؤ والزراية ولكان له في ذلك عار أي
عار .

ولكن من سوء الحظ أن هذا الدليل الأوحـد كان في جيب "ارسين
لوبيـن" فكيف الوصول إليه ؟

وأرهق "جانيمار" نفسه في البحث والاستقصاء ، وراح يحاول أن

يستجمع أدلة جديدة وهو يستعرض القضية من مبدئها إلى نهايتها وقضى ليالي مسهدا وهو يعاود التفكير في سر شارع برن ويدرس التقارير الوافية عن حياة "بريفال" وماضيه ، ويرسل رجاله في كل جهة يبحثون عن الياقوتة الزرقاء المختفية . ولكن ذلك كله راح بلا طائل وبغير جدوى .

وفي الثامن والعشرين من شهر ديسمبر قابل قاضي التحقيق "جانيمار" في أروقة المحكمة فاستوقفه قائلا :

- حسنا يا مسيو "جانيمار" . هل من جديد؟

- لاشيء يا سيدي القاضي .

- سوف اضطر إذن إلى حفظ القضية .

- ألا تنتظر يوما آخر ؟

- وما الفائدة ؟ إننا نريد تلك القطعة الأخرى من الشملة الحمراء

فهل حصلت عليها ؟

- ستكون معي غدا .

- غدا ؟

- نعم . ولكنني أرجو أن تعطيني القطعة التي لديك .

- وماذا يحدث لو أعطيتها لك .

- لو فعلت فأني أعدك بأن أعيد إليك الشملة كاملة ؟

- حسنا . لك ذلك .

وسار "جانيمار" مع القاضي إلى حجرته ، فلما غادرها كانت قطعة

الشملة في جيبه ، فمضى في طريقه مغمغما :

- لعنة الله عليهم جميعا ، سوف أذهب للبحث عن هذا الدليل

والحصول عليه . هذا إذا افترضنا أن السيد "لوبيين" ستكون لديه

الشجاعة الكافية للمحافظة على مواعده والوفاء بوعده .

والواقع أن "جانيمار" لم يشك لحظة في أن لدى السيد "لوبيين" من

هذه الشجاعة النصيب الأوفر ، ولعل هذا كان أكثر ما يسخطه ويملؤه

حنقا وغیظا . ولكن لماذا اصر "لوبين" على هذا اللقاء ؟ وما هو دوره الخفي في هذه القضية ؟

وعندئذ استقر عزمه ، وهو ممتلى غضبا وكراهية ، على أن يتخذ كل ضروب الحيلة اللازمة ، لا ليتحاشى الوقوع في شرك منصوب له فحسب ، بل ليوقع بغريمه في الشرك الآن بعد أن سنحت له الفرصة المواتية .

وفي اليوم التالي ، التاسع والعشرين من ديسمبر ، وهو اليوم الذي حدده "لوبين" ..

وبعد أن قضى الليلة باكلهما وهو يدرس ذلك المنزل العتيق في شارع سيرين ويستوثق من أنه لايجوزي منفذا آخر غير الباب الامامي انذر رجاله بانهم مقدمون على مغامرة خطيرة ، وسرعان ما كان يسير على رأسهم إلى ساحة المعركة .. ثم أقامهم في إحدى المقاهي امام المنزل وزودهم باوامره الصريحة :

فإذا بدا لهم من إحدى نوافذ الطابق الثالث ، أو إذا لم يعد إليهم في خلال ساعة واحدة . فعليهم أن يقتحموا المنزل ويقبضوا على أي شخص يحاول مغادرته .

وبعد أن تحقق كبير المفتشين من أن مسدسه في حالة صالحة للاستعمال وأنه يستطيع إخراجه من جيبه بسهولة ، راح يرقى الدرج .

ودهش إذ رأى كل شيء على حاله كما تركه ، والابواب مفتوحة وأقفالها منزوعة . فمضى ليتحقق من أن نوافذ الحجرة الكبرى تطل على الطريق ، كما راح يجول في الحجرات الثلاثة ، دون أن يجد شخصا ما .

وعندئذ ضحك في غيظ وهو يحدث نفسه بصوت مرتفع :

- لقد خاف "لوبين" لقائي !.

فاجابه من خلفه صوت ساخر :

- لاتكن سخيافا !

فتحول "جانيمار" ورأى امامه عاملا كهلا ، يرتدي ذلك الثوب الطويل الذي يرتديه عمال طلاء المنازل ، وهو يقف في باب المسكن .
- لا ترهق رأسك بالتفكير ، فإنني هو . "أرسين لوبين" وقد كنت اعمل منذ الصباح الباكر في حانوت النقاش ، وهذه هي الساعة التي تنصرف فيها للفطور ، ولكنني صعدت إليك .

وراح ينظر إلى "جانيمار" في ابتسامة ساخرة وهو يقول :

- لعمرى إنها لحظة نادرة أدين بها إليك ايها الصديق ، واترك في سبيلها عشرة أعوام من عمري عن طيب خاطر ، فانت تعلم انني احبك بكل قلبي . وبعد فما الذي تراه في هذه القضية ؟ ألم تكن وافية الدرس والتحميص ؟ وهل لم انظر إليها نظرة بعيدة صادقة من الفها إلى يائها ؟ . اتراني فهمت القضية جيدا ، وتوغلت في سر الشملة الحريرية إلى أعماقه الدفينة ؟ إنني لا اقول إنه لم تكن هناك ثغرات في استنتاجاتي ، أو حلقات ناقصة ، ولكننا مع ذلك كانت نمونجا رائعا للذكاء وبعد النظر .. "جانيمار" يا عزيزي ، أي براعة هذه في ترتيب الحوادث كما وقعت ! وأي إلهام صادق في معرفة ما حدث ، وما هو يوشك أن يحدث ، منذ اكتشاف الجريمة إلى قدومك هنا للبحث عن دليل ! هل اتيت بالشملة ؟

- نعم ، نصفها ، فأين النصف الآخر ؟

- إنه معي ، فهيا نقارنهما معا .

ونشرا جزاي الشملة على المائدة فإذا القطع الذي أحدثه المقص منطبق تمام الانطباق كما كان لوناهما وخطوطهما متفقة تماما ، فقال "لوبين" :

- ولكنني اعتقد انك لم تات لذلك فقط ، فإن ما يهمك كثيرا هو ان ترى

آثار الدماء ، اليس كذلك ؟ تعال معي إذن إلى الحجرة الثانية فهي أكثر ضوءاً من هذه .

وذهبا إلى الحجرة المجاورة فكانت ، أكثر ضياء حقا على الرغم من أنها لا تطل على الطريق ، وإنما على الفناء .
ووضع "لويين" القطعة الحريرية على زجاج النافذة وقال :
- انظر ..

فاستخف الفرح بالمفتش وهو يرى علامات الأصابع الخمسة وراحة اليد مطبوعة على قطعة الحرير في وضوح ، فهذا هو الدليل القاطع الذي لا يقبل شكاً أو تاويلاً ، إذ إن القاتل أمسك بالشملة بيده الملوثة بالدماء ، نفس اليد التي طعن بها "جيني سافير" ، كي يحيط بها عنقها ليجهز عليها خنقا .
واستطرد "لويين" :

- ثم إنها بصمة اليد اليسرى ، ومن هنا كان تحذيري لك بأن القاتل شخص أعسر . الأمر الذي بدا لك من الخوارق يومئذ ، وإذا كنت أعلم أنك تنظر إلي على أنني أحد ذكاء وأشد مهارة منك ، فأني لا أود أن تعدني ساحرا أو مشعوذا ..
وأسرع "جانيمان" يضع القطعة الحريرية في جيبه ، فأوما "لويين" برأسه موافقا وقال :

- تماما يا بني العزيز . إنها لك الآن ، فكم يسرني أن أراك سعيدا بها . وهأنت ترى إنه لم يكن في الأمر شرك أو خدعة ، وإنما هي رغبتني في إرضائك ، وتقديم خدمة ضئيلة لك كتلك التي يتهاداها الأصدقاء . والزملاء . ثم إنني لا أنكر عليك أن هناك شيئا من الفضول أيضا .. أجل ، فقد أردت أن افحص القطعة الأخرى التي لدى البوليس لا تخف شيئا فسوف أعيدها إليك . ولكن مهلا لحظة واحدة .
وراح "لويين" يعبث ، في تراخ ، بالعقدة ذات الأهداب (الشرابة)

التي في نهاية القطعة الحريرية بينما كان يصغي إليه رغم انفه وهو يقول :

- تالله ما أبرع هذه الأشياء الدقيقة التي تصنعها النساء بأيديهن !
الم تلاحظ نقطة دقيقة في شهادة الخادمة ؟ لقد كانت "جيني سافير" شديدة الحذق في الحياكة ، واعتادت أن تصنع بنفسها ما يلزمها من القبعات والثياب . ولأمراء في أنها هي التي صنعت هذه الشملة ، فقد أدركت ذلك بنفسي من مبدأ الأمر . ولما كنت شديد الفضول كما قلت لك فقد فحصت مليا تلك العقدة التي تنتهي بها قطعة الحرير التي وضعتها الآن في جيبك وإذا بي أجد بداخلها أيقونة معدنية صغيرة حاكتها الفتاة المسكينة داخل العقدة لتجلب لها الحظ .

ليس هذا أمرا مؤثرا يا عزيزي "جانيمار" ؟

وكان المفتش في حيرة بالغة لا يرفع عينيه عن يدي رفيقه ليرى ما يصنع . فلم يجب ، بينما أردف "لوبين" :

- و عندئذ قلت لنفسي : ما أجمل أن أفحص النصف الآخر للشملة ، ذلك الذي سيجده البوليس حول عنق القتيلة ، لأن هذا النصف الآخر ، وهو الذي أمسك به أخيرا بين يدي الآن لأبد أن يكون قد صنع بنفس الطريقة ، وسوف يمكنني أن أرى إن كان يحوي مخبا كشيبهه ، وماذا عسى أن يوجد في ذلك المخبا . ولكن انظر يا صديقي ، ألا تراه عملا رائعا ، وبسيطا ؟ إن كل ما يجب أن تفعله هو أن تأخذ ثلة من الخيوط الحريرية ، فتضفرها حول قرح صغير من الخشب في حجم البندقة ، تاركا منفذا صغيرا ، ومكانا ضئيلا في منتصفه ..

مكانا ضيقا جدا بلاشك ولكنه من السعة بحيث يمكنك أن تضع فيه أيقونة معدنية عليها رسم إحدى القديسات أو أي شيء آخر كإحدى الجواهر النفيسة . يا قوطة زرقاء مثلاً ..

وفي هذه اللحظة كان قد انتهى من دفع الخيوط الحريرية التي تخفي مخبا الجوهرة جانبا ، وأخرج من القرح المجوف تلك الياقوطة الثمينة فأمسك بها بين إصبعيه وهو يهتف في جدل :

- أرايت يا صديقي ؟ .. ما الذي كنت أقوله لك ؟

وكان المفتش يحرق فيه بعينين جاحظتين ، وقد احتقن وجهه ، دون أن يستطيع حراكا كأنما سحره مرأى الياقوطة وهي تتألق أمام عينيه وأخيرا أدرك الخدعة فصاح :

- أيها اللص القذر ! أيها الجرذ الحقيق !..

وراح يردد هذا السبب في انفعال كما فعل عند لقائهما أول مرة ،
بينما ظل "لوبين" ينظر إليه وعلى شفثيه ابتسامة سخرية لأذعة ..
فاستطرد "جانيمار" :

- أعطني هذه ..

فمد "لوبين" يده بقطعة الحرير ، ولكن المفتش صاح في حق :

- والياقوتة ؟

- لا تكن مغفلا ..

- هاتها ، وإلا ..

- وإلا ماذا أيها الأحمق ؟ انتظني أقدم لك هذه الخدمة دون مقابل ؟

- هاتها حالا ..

- ألم تدرك ما كنت بسبيله طول هذه المدة ، مع أن الأمر شديد
الوضوح ؟ .. لقد جعلتك تهيم على وجهك أربعة أسابيع كالإيل المذعور
وأنت الذي أردت ذلك .. هيا يا "جانيمار" ، هدى روعك ، وأقبل الأمر
الواقع في استسلام كعادتك . كلا .. ألا ترى أنني أتخذت منك كلبا
للصيد طيلة هذه الأسابيع الأربعة ؟ هيا يا "روفر" . هناك فريسة زرقاء
جميلة يريدونها سيدك .. فاذهب وجئني بها على عجل .

أحسن يا "روفر" ! . إنك تستحق الآن قطعة من الحلوى !.

ولكن "جانيمار" لم يكن يفكر في غمرة غضبه إلا في شيء واحد . وهو
أن يدعو أعوانه ولما كانت الحجرة التي يقفان فيها تشرف على الفناء
فقد جهد في أن يتسلل ناحية الباب الموصل بين الحجرتين حتى
يستطيع أن يسرع إلى النافذة ويشير إلى رجاله ..

واستطرد "لوبين" :

- لقد كنتم جميعا ثلة من الأغبياء ، أنت والآخرون . فقد لبثت هذه
القطعة بين أيديكم طول هذه المدة دون أن يفكر أحدكم في فحصها ،
ودون أن يسأل أحدكم نفسه عن السر في تشبث الفتاة بشمלתها حتى
لتضعها باستمرار حول عنقها ..

أجل .. لقد كنتم تعملون بطريقة آلية عقيمة دون أن تفكروا في شيء
أو تتوقعوا شيئا .

وفي تلك اللحظة أدرك المفتش بغيته ، إذ انتهز لحظة خاطفة تحول
فيها "لوبين" عنه ، فانقض على الباب يدير الإكرة في عجلة . وما لبث

ان تنهد في حلق فإن الاكرة لم تدبر في يده ..
وانفجر "لوبيين" مقهقهها وهو يقول :

- ولا هذا ! .. إنك لم تتوقع هذا ايضا .. فقد نصبت لي شركا دون
ان تفكر في انني قد اشم رائحته . وقبلت في خنوع ان اجرك إلى هذه
الحجرة دون ان تسائل نفسك إن لم يكن لي في ذلك غرض معين ودون
ان تذكر ان اكر الابواب مجهزة بالة خاصة . هيا يا "جانيمار" وقل لي
في صراحة عن رأيك في ذلك كله..

فصاح "جانيمار" في صوت كزئير الوحش ، وهو يخرج مسدسه
فيصوبه إلى وجه "لوبيين" :

- هاك رأيي .. ارفع يديك فورا .

فهز "لوبيين" كتفيه في غير اكرثا وهو يقترب منه قائلا :

- دعك من هذا الهراء .

- قلت لك ارفع يديك . حالا .

- وقد قلت لك بدوري ان تكف عن هذا الهراء . الا تعلم ان هذا

المسدس الخفيف غير صالح للاستعمال ؟

- ماذا ؟

- إن "كاترين" العجوز ، مدبرة بيتك ، ليست إلا إحدى صنائعي ..

وقد بللت رصاص مسدسك هذا الصباح بينما كنت تتناول فطورك .

فوضع "جانيمار" المسدس في جيبه واندفع نحو "لوبيين" في وحشية
ولكن هذا أوقفه بلطمة عنيفة على فكه .

ووقف الرجلان يتبادلان نظرات نارية .. نظرات خصمين جبارين

يعتزم كل منهما ان يبطش بالآخر . ومع ذلك فقد وقفا ساكنين بلا

حركا إذ عاودت "جانيمار" ذكريات نضالهما السابق ، وفشله الذريع ،

وهجماته الضائعة هباء . كلا ..

إنه لا يستطيع ان يفعل شيئا حياله .. فإن لهذا الشيطان قوى

ساحقة تتحطم أمامها القوى البشرية مهما يكن صاحبها .

وأخيرا قال "لوبيين" في دعة وكأنه يقرأ افكار صاحبه :

- أجل . يحسن ان تدع الأشياء تسير كما هي . وانظر إلى ما جلبته

عليك هذه القضية يا صديقي . المجد ، والشهرة ، والفرصة السانحة

للترقية . ولاجدال في أنك لا تريد اكتشاف مكان الياقوتة الزرقاء وراس

"لوبيين" المسكين معه ، فهذا جشع بالغ منك . ثم لا تنس ان "لوبيين"

المسكين انقذ حياتك . اجل يا سيدي . الم يحذرك في هذا المكان نفسه
من ان "بريفال" شخص اعسر ؟ . أهذه هي الطريقة التي تختارها
لشكري ؟ . لعمرى إنه ليس جميلا منك ان تفعل هذا يا "جانيمار" ،
واني لأحمر خجلا من أجلك !

وفي خلال ذلك كان "لوبين" قد اقترب من الباب الذي فشل "جانيمار"
في فتحه ، فلما رأى المفتش خصمه يوشك ان يفر منه نسي حذره
وحكمته وحاول ان يعترض سبيله ، فتلقى منه لكمة شديدة في معدته
جعلته يندفع إلى الجدار المقابل ..

ولس "لوبين" زرا خاصا في اكرة الباب ، فدارت في يده وما لبث ان
فتحه وتسلل منه وهو يقهقه في جذل .

فلما أفلح "جانيمار" في العودة إلى رجاله بعد عشرين دقيقة قال له
أحدهم :

- لقد غادر أحد النقاشين المنزل في اثناء عودة زملائه من تناول

فطورهم واعطاني هذا الخطاب قائلا : "اعطه لرئيسك" فلما سألته :
أي رؤسائي ؟ . كان قد مضى في سبيله ، ولا ريب انه يعنك ..

وفتح "جانيمار" الخطاب فوجده محررا في عجلة بالقلم الرصاص ،

وإذا به : "إنني أكتب إليك هذا يا صديقي الحميم لأحذرك من عواقب

السذاجة وسرعة تصديق ما تسمعه فإذا قال لك شخص ما إن رصاص

مسدسك مبلل ومرطوب مهما تكن ثقتك به ، حتى ولو كان "لوبين" ،

فلا تصدقه .. بل اطلق النار أولا حتى إذا ما أصاب الطلق خصمك

امكنك ان تحصل على الدليل القاطع .

١ - بأن الخرطوش ليس مرطوبا .

٢ - إن "كاترين" المسكينة هي أكثر الناس امانة وأجدرهم بالثقة ..

مع تحياتي القلبية .

أرسين لوبين

"تمت بحمد الله"

هذه فرصتك .. أرسل طلبك اليوم .. !
الروايات الكاملة .. والمعربة
للروايات البوليسية العالمية
أرسين لوين

إدفع ثمن (٥) روايات واحصل على ٦

أخي القارئ العربي :

تحية وبعد،

هل سبق لك وسمعت عن روايات أرسين لوين

نعم..

إنها أشهر الروايات البوليسية..

هذه فرصتك اليوم.. وليس غداً، إن دار ميوزيك تتيج لك هذه

الفرصة النادرة، لإقتناء جميع روايات أرسين لوين.

نعم جميعها ومعربة !

ثمن النسخة الواحدة (٢) دولاران أمريكيان، وثمن (٦) ست روايات

(١٠) عشرة دولارات أمريكية، وذلك تدفع ثمن (٥) خمس روايات

وتحصل على رواية إضافية مجانية.

ترسل الطلبات بموجب شيك على أي مصرف في لبنان والدولار

الأمريكي، ودار ميوزيك لا تتحمل مسؤولية إرسال أي مبالغ نقدية

داخل الرسائل !

اقطع الكويون، وضع علامة ☒ على رقم الرواية التي تريدها،
وأرسله مع الشيك بالبريد المسجل (المضمون) وان يكون الشيك

مسحوب على مصرف في لبنان على العنوان التالي :

دار ميوزيك : ص ب ٣٧٤ - جونية - لبنان

ملاحظة : جميع الشيكات : باسم

دار ميوزيك

أرجو سرعة إرسال الروايات التالية :

١٠	٩	٨	٧	٦	٥	٤	٣	٢	١
٢٠	١٩	١٨	١٧	١٦	١٥	١٤	١٣	١٢	١١
						٢٤	٢٣	٢٢	٢١

الإسم :

العنوان :

ص.ب. _____ المدينة : _____ الرمز البريدي :

الدولة :

مرسل طيه شيك بمبلغ _____ دولار أمريكي.

هذه هي أسماء وأرقام الروايات التي يمكنكم طلبها.
سارع في إرسال طلبك !

الجاسوس الاعمى	٢٣	أرسين لوبين بوليس آداب	١
الجنة المفقودة	٢٤	أرسين لوبين بوليس سري	٢
		الماسة الزرقاء	٣
		أرسين لوبين رقم ٢	٤
		أرسين لوبين في السجن	٥
		المعركة الأخيرة	٦
		أرسين لوبين في موسكو	٧
		أرسين لوبين في قاع البحر	٨
		أرسين لوبين في نيويورك	٩
		أسنان النمر	١٠
		الميراث المشؤوم	١١
		أصبح أرسين لوبين	١٢
		لصوص نيويورك	١٣
		اعترافات أرسين لوبين	١٤
		الإبرة المجدوفة	١٥
		الإنذار	١٦
		الباب الأحمر	١٧
		البرنس أرسين لوبين	١٨
		الباج المفقود	١٩
		الثعلب	٢٠
		الجائزة الأولى	٢١
		الجائزة الكبرى	٢٢